قافية النون

وقال يمدح سيف الدولة وكان قد توقف عن الغزو لما سمع بكثرة جيش الروم فأنشده بحضرة الجيش

نَزُورُ دِيَاراً مَا نُحِبُّ لَهَا مَغْنَى ... وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سُكَّانِهَا الإِذْنَا(١)

نَقُودُ إِلَيْهَا الآخِذَاتِ لَنَا المَدَى ... عَلَيْهَا الكُمَاةُ المُحْسِنُونَ بِهَا الظَّنَّا(٢)

وَنُصْفِي الَّذِي يُكْنَى أَبَا الحَسَنِ الهَوَى

وَنُرْضِي الَّذِي يُسْمَى الإِلَهَ وَلَا يُكْنَى(٣)

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُّونَ أَنَّنَا ... إِذَا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلْفَنَا عُدْنَا(٤)

وَأَنَّا إِذَا مَا المَوْتُ صَرَّحَ فِي الوَغَى ... لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَا(٥)

(١) المغنى المنزل الذى كان به أهلوه ففنى بهم . لما قال نزور والزيارة تقتضى المحبة نفى أن يكون محبا تلك الديار لأنها ديار أعداء . يقول : نزور هذه الديار على غير محبة لمغنى من مغانيها ، واذا أردنا زيارتها طلبنا الأذن فى ذلك من غير ساكنها أى استأذنا فى الاسراع اليها والتشعب فيها للاغارة سيف الدولة لا أصحابها الروم

(٢) المدى الغاية . والكماة جمع كمى وهو البطل المستتر فى السلاح . يقول : نقود إلى هذه الديار خيلا نبلغ بنا الغاية التى نترامى اليها وتحرز لنا قصب السبق ، عليها فرسان قد جربوها وعرفوها فأحسنوا بها الظن لكثرة ما انتصروا عليها (٣) أراد بالذى يكنى أبا الحسن سيف الدولة لأن اسمه على والذى مفعول أول لنصفى والهوى مفعول ثان . وقوله يسمى الاله ولا يكنى أى انه سبحانه لا كنية له وتعالى عن الولد حتى يكنى به . يقول : ونصفى سيف الدين مودتنا فنقاتل أعداؤه ونقيه بأنفسنا ونرضى الله بمجاهدة أهل الحرب (٤) يقول : اذا أبنا من أرضهم عدنا اليها ، أى فلا نكف عن قتالهم (٥) صرح برز وظهر ، والوغى الحرب . يقول : اذا صار الموت صريحا فى الحرب بارزا ليس دونه قناع توسلنا الى ما نطلبه بالطعن بالرماح والضرب بالسيوف

قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الحَبِيبِ لِقَاؤُهُ إِلَيْنَا وَقُلْنَا لِلسُّيُوفِ هَلُمَّنَّا(١)

وَخَيْلٍ حَشَوْنَاهَا الأَسِنَّةَ بَعْدَمَا تَكَدَّسْنَ مِنْهَنَّا عَلَيْنَا وَمِنْهَنَا(٢)

ضُرِبْنَ إِلَيْنَا بِالسِّنَاطِ جَهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَّا(٣)

تَعَدَّ القُرَى وَالمُسْ بِنَا الجَيْشَ لَمْسَةً نُبَارِ إِلَى مَا تَشْتَهِي يَدُكَ اليُمْنَى(٤)

فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللِّقَانِ دِمَاؤُهُمْ

وَنَحْنُ أُنَاسٌ نُتْبِعُ البَارِدَ السُّخْنَا(٥)

---

(١) لقاؤه مرفوع بحبيب أى المحبوب لقاؤه . يقول : قصدنا الموت كما يقصد مايحب لقاؤه وقلنا للسيوف هلمى الينا ، أدخل على هلمى نون التوكيد فحذف الياء لالتقاء الساكنين ثم اشبع فتحة النون فصار هلمنا ومن ضم الميم خاطب السيوف مخاطبة من يعقل كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم ثم اسقط الواو من هلموا لاجتماع الساكنين ثم أشبع الفتحة

(٢) حشوناها الأسنة أى جعلنا الأسنة حشوا لها بأن طعناها بها . وتكدسن أى الخيل أى خيل العدو أى اجتمعن علينا وركب بعضهن بعضا من كثرتها . وهنا بمعنى ههنا ومنه قول العجاج

* هَنَّا وَهَنَّا وَعَلَى المَسْجُوحِ *

«يصفه بالعطاء أى يعطى يمينا وشمالا وعلى سجيحته أى طبيعته » وقد أخذ المتنبى قوله حشوناها الأسنة من قول الوليد بن المغيرة

وَكَمْ مِنْ كَرِيمِ الجَدِّ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَآخَرُ يَهْوِي قَدْ حَشَوْنَاهُ ثَعْلَبَا

« يقال للقتيل ركب ردعه اذا خر لوجهه على دمه وأصل الردع التلطخ بالزعفران . والثعلب طرف الرمح الداخل فى جبة السنان » (٣) قال ابن جنى : كانت خيل الروم قد رأت عسكرا لسيف الدولة فظنوهم روما فأقبلوا نحوهم مسترسلين فلما تحققوا الأمر ولوا هاربين ولهذا قال جهالة ، ووصل ضربنا بألى وعن فقال ضربن الينا وعنا على تضمينه معنى حثثن ونحوه (٤) تعد تجاوز ونبار نسابق وروى نبادر من المبادرة وهى الاسراع . يقول : لسيف الدولة — : تجاوز القرى إلى الصحراء وحارب بنا جيش الروم وأدنا منهم دنو اللامس من الملموس نسابق يدك اليمنى إلى تبليغك ما تريد من الظفر بهم ، أى أن الظفر يكون أسرع اليك مما لو تناولته بيدك (٥) اللقان موضع

وَإِنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْعَضْبَ فِيهِمِ
فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضِّرَابِ الْقَنَا اللُّدْنَا(١)
فَنَحْنُ الأُلَى لَا نَأْتَلِي لَكَ نُصْرَةً وَأَنْتَ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ وَحْدَهُ أَغْنَى(٢)
يَقِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ الْعُلَا
وَمَنْ قَالَ لَا أَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ بِالْأَدْنَى(٣)
فَلَوْلَاكَ لَمْ تَجْرِ الدِّمَاءُ وَلَا اللُّهَا وَلَمْ يَكُ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا مَعْنَى(٤)
وَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى وَلَا الْأَمْنُ إِلَّا مَا رَآهُ الْفَتَى أَمْنَا(٥)

بالروم . يقول : تقادم عهدنا بسفك دمائهم وقد برد ما سفكناه وعادتنا أن نتبع البارد من دماء الأعداء السخن منها ، يعنى لا ننفك من سفك دمائهم فاذا برد ما سفكناه اتبعناه دما طريا حارا (١) العضب القاطع ، والقنا الرماح واللدن اللينة . ويقال رمح لَدْن بفتح اللام ورماح لدن بضمها . يقول : ان كنت فيهم سيفا قاطعا فدعنا نتقدم اليهم تقدم الرماح فنكون أمامك كما تكون الرماح أمام السيوف . قيل لما بلغ هذا البيت قال له سيف الدولة قل لهؤلاء — وأشار بيده إلى من حوله من العرب والعجم — يقولوا كما تقول حتى لا ننثنى عن الجيش فما تحمل أحد منهم بكلمة/(٢) الألى الذين. ولا نأتلى لا نقصر . يقول : نحن الذين لا نقصر فى نصرتك وأنت لو اكتفيت بنفسك فى قتال الاعداء لاستغنيت عنا

(٣) الردى الموت . والأدنى الدون . يعنى بهذا نفسه لأنه يطلب بخدمته العلى ولا يرضى عنده بالعيش الدنىء فكأنه يقول أقيك بنفسى (٤) اللها جمع لهية وهى العطية . يقول : لولاك لم تكن شجاعة ولا جود لأن الدماء انما تجرى بشجاعتك وقتلك الأعداء والعطايا تجرى بجودك ولولاك لم يظهر للدنيا ولا لأهلها معنى (٥) هذا تعريض بجيش سيف الدولة وذلك أنه أراغهم على الذهاب إلى الروم فخافوا خوفا منهم على أنفسهم . يقول : الخوف على الحقيقة ما يراه الانسان خوفا فان خاف شيأ غير مخوف فقد صار خوفا وإن أمن غير مأمون فقد تعجل الأمن ، وهذا من قول دعبل

هِيَ النَّفْسُ ما حَسَّنْتَهُ فَمُحَسَّنٌ لَدَيْهَا وَما قَبَّحْتَهُ فَمُقَبَّحُ

وقال يمدحه وقد أهدى له ثياب ديباج ورمحا وفرساً معها مهرها وكان المهر أحسن

ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حِسَانَهَا ... إِذَا نُشِرَتْ كَانَ الهِبَاتُ صِوَانَهَا (١)

تُرِينَا صَنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكَهَا ... وَتَجْلُو عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيَانَهَا (٢)

وَلَمْ يَكْفِهَا تَصْوِيرُهَا الخَيْلَ وَحْدَهَا ... فَصَوَّرَتِ الأَشْيَاءَ إِلَّا زَمَانَهَا (٣)

وَمَا ادَّخَرَتْهَا قُدْرَةً فِي مُصَوِّرٍ ... سِوَى أَنَّهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوَانَهَا (٤)

وَسَمْرَاءُ يَسْتَغْوِي الفَوَارِسَ قَدُّهَا ... وَيُذْكِرُهَا كَرَّاتِهَا وَطِعَانَهَا (٥)

(١) ثياب بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر أو فاعل لفعل محذوف أى عندى ثياب كريم أو أتتنى ثياب كريم . والصوان التخت وهو ما يصون الثياب ويحفظها . يقول : أتتنى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة انما يهبها فليس لها صوان غير الهبات أى أنه لا يصونها فى الصوان وانما يهبها ، ويجوز أن يريد بقوله كان الهبات صوانها أن ما يصونها من لفاف ومنديل كان هبة أيضا كما قال فى موضع آخر

* أَوَّلُ مَحْمُولٍ سَيِّبُه الْحَمَلَهْ *

(٢) الصناع المرأة الحاذقة بالعمل . والقيان جمع قينة وهى الجارية . يقول : ان ناسجتها من الروم قد نقشت عليها صور ملوك الروم فهى ترينا إياهم فيها وترينا كذلك صورة نفسها وجواريها (٣) يقول : لم تكتف بتصوير الخيل وحدها بل صورت الأجسام وما يمكن تصويره فلم تترك شيأ إلا صورته ماعدا الزمان لأنه لا صورة له فلذلك لم تصوره (٤) يقول : أن هذه الصناع لم تدخر عن الثياب المذكورة شيأ هو فى وسع المصور إلا بذلته غير انها لم تقدر على انطاق ماصورت من الحيوان فهذا فقط هو الذى لم تستطعه . هذا وقوله ادخرتها لا يتعدى إلى مفعولين لكنه أضمر فعلا فى معناه يتعدى إلى مفعولين كأنه قال وما حرمتها قدرة

(٥) سمراء عطف على قوله ثياب كريم فى البيت الأول وقد كانت فى جملة الهبات يريد قناة سمراء واستغواء قدها الفوارس إطماعه إياهم بطوله وملاسته وشرائط كماله فى تصريفه واستمالته واظهار عجزهم عنه اذا باشروا ذلك وتذكيرهم الكر والطعن

رُدَيْنِيَّةٌ تَمَّتْ فَكَادَ نَبَاتُهَا ... يُرَكِّبُ فِيهَا زُجَّهَا وَسِنَانُهَا (١)

وَأُمُّ عَتِيقٍ خَالُهُ دُونَ عَمِّهِ ... رَأَى خَلْقَهَا مَنْ أَعْجَبَتْهُ فَعَانَهَا (٢)

إِذَا سَايَرَتْهُ بَايَنَتْهُ وَبَانَهَا ... وَشَانَتْهُ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا (٣)

فَأَيْنَ الَّتِي لَا تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرَّهَا ... وَشَرِّي وَلَا تُعْطِي سِوَايَ أَمَانَهَا (٤)

وَأَيْنَ الَّتِي لَا تَرْجِعُ الرُّمْحَ خَائِبًا ... إِذَا خَفَضَتْ يُسْرَى يَدَيَّ عِنَانَهَا (٥)

وَمَالِي ثَنَاءٌ لَا أَرَاكَ مَكَانَهُ ... فَهَلْ لَكَ نُعْمَى لَا تَرَانِي مَكَانَهَا (٦)

---

(١) ردينية أى انها مما عملته رديئة امرأة كانت تعمل الرماح . والزج حديدة تجعل فى أسفل الرمح . والسنان الذى يجعل فى أعلاه . يقول : لحسن نباتها الذى أنبته الله كاد نباتها يجعلها ذات زج وسنان (٢) أم عتيق عطف أيضا على ثياب . والعتيق الكريم من الخيل. وعانها أصابها بعينه . يقول : وفرس انثى لها مهر كريم خال ذلك المهر فى الشرف دون عمه ، يعنى أن أباه كان أكرم من أمه لأن العم والأب اخوان كما ان الخال والأم اخوان فاذا كان العم أكرم من الخال فالأب أكرم من الأم ، وقوله رأى حسنها الخ يقول كأنها مصابة بالعين لقبح خلقتها ، يريد أن الفرس كانت قبيحة أما المهر فكان جميلا (٣) شانته عابته وقوله فى عين البصير لعله يريد البصير بأمر الخيل دون غيره ويحتمل أن يكون البصير من أبصرها ولم يكن له علم لأن بصره قد كفاه يقول : اذا سايرت الأم المهر ظهر بينهما البون وبانت مزيته عليها لأن المهر أكرم من الأم وأجمل فهن تشين المهر بقبحها ولانها أمه والمهر يزينها بحسنه ولانه ابنها

(٤) يقول : هلا اهديت إلى فرسا اذا ركبتها خافت الفرسان شرها وشرى ولا يحسن ركوبها غيرى أى لا تنقاد لغيرى ، يعنى أين التى تصلح للحرب (٥) العنان سير اللجام . يقول : وأين الفرس التى تصلح للطعان فلا ترد الرمح فى الحرب خائبا اذا طاعنت عليها وقرطت عنانها ☆ بيدى اليسرى ، يريد أن هذه لا تصلح لذلك . هذا ويقال رجعه يرجعه وأرجعه يرجعة فى لغة هذيل (٦) يقول : ليس لى ثناء إلا وأنا أراك أهلا له اثنى عليك به فهل لك نعمى — نعمة — لا تعرفنى أهلا لها فتدخرها عنى

☆ قرط الفارس عنان فرسه مد يده حتى جعلها على قذال فرسه وهى تحضر — تجرى — والمراد أرخى العنان

ومد نهر قُوَيق وهو نهر بحلب حتى أحاط بدار سيف الدولة وخرج أبو الطيب من عنده فبلغ الماء الى صدر فرسه فقال أبو الطيب مرتجلا

حَجَّبَ ذَا الْبَحْرَ بِحَارٌ دُونَهُ ... يَذُمُّهَا النَّاسُ وَيَحْمَدُونَهُ (١)

يا مَاءُ هَلْ حَسَدْتَنا مَعِينَهُ ... أَمِ اشْتَهَيْتَ أَنْ تُرَى قَرِينَهُ (٢)

أَمِ انْتَجَعْتَ لِلْغِنَى يَمِينَهُ ... أَمْ زُرْتَهُ مُكَثِّرًا قَطِينَهُ (٣)

أَمْ جِئْتَهُ مُخْنَدِقًا حُصُونَهُ ... إِنَّ الْجِيَادَ وَالْقَنَا يَكْفِينَهُ (٤)

يَا رُبَّ لُجٍّ جُعِلَتْ سَفِينَهُ ... وَعَازِبِ الرَّوْضِ تَوَقَّتْ عُونَهُ (٥)

(١) يريد بالبحر سيف الدولة وبالبحار أمواه ذلك النهر ثم قال هي دونه فى الشرف والنفع وانها قامت له مقام الحاجب فمنعت الناس من زيارته فهى لذلك مذمومة وهو محمود قال العكبرى : يقال ان سيف الدولة رأى فى المنام أن حية طوقت داره فعظم ذلك عليه ففسر ذلك أنه ماء فأمر أن يحفر بين داره وبين قويق حتى أدار الماء حول الدار ، وكان بحمص رجل ضرير من أهل العلم يفسر المنامات فدخل على سيف الدولة فقال له كلاما معناه ان الروم تحتوى على دارك فأمر به فأخرج بعنف وقدر الله تعالى أن الروم فتحوا حلب واحتووا على دار سيف الدولة فدخل عليه الضرير بعد ذلك فقال هذا ما كان من المنام فأعطاه شيأ (٢) المعين الماء الذى يخرج من الارض من عين ونحوها يقول : هل حسدتنا عليه فحجبت بيننا وبينه أم أردت أن تكون مثله فى الندى فرخرت وزدت (٣) أصل الانتجاع طلب المرعى ويقال انتجعه أى قصده يطلب معروفه . والقطين الجماعة يسكنون مكانا والمراد حشمه واتباعه وأهل منزله . يقول : أم جئته تطلب معروفه لتصير غنيا أم أتيته زائرا لتكثير من عنده فى مجلسه

(٤) الخندق معروف وهو الحفير حول المدينة . يقول : أم جئته لتحفر خندقا لحصونه منعا للعدو ؟ لاحاجة به الى الخندق لان جياده — خيله — ورماحه تمنعه وتغنيه عن الخنادق والحصون (٥) اللج جمع لجة ولجة البحر معظمة والسفين جمع سفينة . والعازب البعيد . والعون جمع عانة وهى القطعة من حمر الوحش . وتوفتها أخذتها وافية

وَذِي جُنُونٍ أَذْهَبَتْ جُنُونَهُ وَشَرْبِ كَأْسٍ أَكْثَرَتْ رَنِينَهُ (١)
وَأَبْدَلَتْ غِنَاءَهُ أَنِينَهُ وَضَيْغَمٍ أَوْلَجَهَا عَرِينَهُ (٢)
وَمَلِكٍ أَوْطَأَهَا جَبِينَهُ يَقُودُهَا مُسَهَّدًا جَفُونَهُ (٣)
مُبَاشِرًا بِنَفْسِهِ شُئُونَهُ مُشَرِّفًا بِطَعْنِهِ طَعِينَهُ (٤)
عَفِيفَ مَا فِي ثَوْبِهِ مَأْمُونَهُ (٥)
أَبْيَضَ مَا فِي تَاجِهِ مَيْمُونَهُ (٦) بَحْرٌ يَكُونُ كُلُّ بَحْرٍ نُونَهُ (٧)
شَمْسٌ تَمَنَّى الشَّمْسُ أَنْ تَكُونَهُ (٨)
إِنْ تَدْعُ يَا سَيْفُ لِتَسْتَعِينَهُ يُجْبِكَ قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ سِينَهُ (٩)

وقيل أهلكتها . يقول : رب ماء عظيم عبرته خيله فكن له كالسفين،ورب روض بعيد المراعي أهلكت خيله حمره وجميع ما فيه من أنواع الوحش فصادتها بجملتها

(١) وذى جنون أى ورب ذى جنون — يعنى عاصيامتمردا مغرورا بجهله — أذهبت الخيل جنونه أى أذلته حتى انقاد وأطاع ، ثم قال ورب شرب — اسم جمع بمعنى الشاربين — أى رب قوم لاهين بشرب الخمر هجمت عليهم خيله وأعملت فيهم القتل حتى كثر رنينهم — أى صياحهم وبكاؤهم على قتلاهم (٢) الضمير فى غناءه وأنينه للشرب والضيغم الاسد والعرين مأوى الاسد . يقول : وأبدلت الخيل غناء الشرب وطربه أنينا لما ألم به من قتل ذويه ، ثم قال : ورب رجل مثل الاسد عزة وقوة أدخل خيله أرضه فوطئتها وأخذت بلاده (٣) يقول : ورب ملك عظيم من الملوك عصاه فقتله فوطئت خيله جبينه وهو يقودها اليه لا يعطى جفنه حظا من النوم لسرعة السير وانصاله

(٤) طعينه مطعونه يقول: اذا طعن انسانا شرفه بطعنه اياه لانه رآه أهلا للمبارزة والمحاربة

(٥) يقول : انه عفيف الفرج مأمونه لا يقرب الزنا (٦) يقول : انه أبيض الوجه مباركه (٧) النون الحوت يقول : هو بحر — أى كثير العطاء — يصغر كل ملك بالاضافة اليه (٨) يقول : أن الشمس تتمنى أن تكونه لانه أشرف منها وأكثر مناقب وذكر الضمير فى تكونه لانه عنى بالشمس الاولى الممدوح (٩) يقول : أن تدعه أيها

أَدَامَ مِنْ أَعْدَائِهِ تَمْكِينَهُ مَنْ صَانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ (١)

وقال يمدحه عند منصرفه من بلد الروم سنة خمس وأربعين وثلثمائة وأنشده إياها بآمد

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثَّانِي (٢)

فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ العَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ (٣)

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الأَقْرَانِ (٤)

لَوْلَا العُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الإِنْسَانِ (٥)

وَلَمَا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَدَبَّرَتْ أَيْدِي الكُمَاةِ عَوَالِيَ المُرَّانِ (٦)

المخاطب فقلت ياسيف مستعينا أجابك قبل اتمام سين السيف ، يريد سرعة اجابته للداعى (١) من صان فاعل أدام وهذا دعاء يقول : أدام الله ـ الذى صان هذا الممدوح وصان دينه من أعدائه ـ تمكينه منهم ـ من أعدائه ـ فالضمير فى نفسه للممدوح وفى دينه لله سبحانه وتعالى (٢) يقول : ان العقل مقدم على الشجاعة فان الشجاعة اذا لم تصدر عن عقل أتت على صاحبها وأوردته موارد الهلاك ولم تعد شجاعة وانما هى خرق ، والحاصل أن العقل فى ترتيب المناقب هو الاول والشجاعة ثان له

(٣) المرة بكسر الميم القوة والشدة والمراد الآباء وعزة النفس وأصل المرة أحكام الفتل يقال أمر الحبل امرارا وتروى حرة بدل مرة وتروى مرة بضم الميم من المرارة. يقول : اذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس تأبى الذل والضيم ولا تلين قناتها للاعداء بلغت أعلى المبالغ من العلى (٤) الاقران جمع قرن بكسر القاف وهو الكفؤ فى الحرب يؤكد تفضيل العقل . يقول : قد يطعن الفتى أقرانه بالمكيدة ولطف التدبير ودقة الرأى قبل أن يصرح بالقتال (٥) و (٦) الضيغم الاسد والمراد بأدنى ضيغم أدون فأدنى أخس وأدون . وأدنى إلى شرف أى أقرب. والكماة جمع كمى وهو البطل المشتمل بالسلاح . والعوالى صدور الرماح . والمران الرماح اللينة. يقول : انما تتفاضل نفوس الحيوان بالعقل فالآدمى أفضل من البهيمة بعقله ثم يتفاضل بنو آدم بالعقل أيضا كما قال المأمون الاجسام ابضاع ولحوم وانما تتفاضل بالعقول فانه لا لحم أطيب من

لَوْلاَ سَمِيُّ سُيُوفِهِ وَمَضَاؤُهُ ... لَمَّا سُلِلْنَ لَكُنَّ كَالأَجْفَانِ (١)

خَاضَ الحِمَامَ بِهِنَّ حَتَّى مَا دُرَى ... أَمِنِ احْتِقَارٍ ذَاكَ أَمْ نِسْيَانِ (٢)

وَسَمَى فَقَصَّرَ عَنْ مَدَاهُ فِي العُلَى ... أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانِ (٣)

تَخِذُوا المَجَالِسَ فِي البُيُوتِ وَعِنْدَهُ ... أَنَّ السُّرُوجَ مَجَالِسُ الفِتْيَانِ (٤)

وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الوَغَى وَالطَّعْنُ فِي الـ ... ـهَيْجَاءِ غَيْرُ الطَّعْنِ فِي المَيْدَانِ (٥)

قَادَ الجِيَادَ إِلَى الطِّعَانِ وَلَمْ يَقُدْ ... إِلاَّ إِلَى العَادَاتِ وَالأَوْطَانِ (٦)

كُلُّ ابْنِ سَابِقَةٍ يُغِيرُ بِحُسْنِهِ ... فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الأَحْزَانِ (٧)

لحم وقوله ودبرت أى ولما دبرت أى انما توصلوا الى استعمال الرماح فى الحرب بالعقل ولولا العقل ماعرفت الأيدى تدبير الطعان بالرماح يريد أن الشجاعة انما تستعمل بالعقل (١) سمى سيوفه يعنى سيف الدولة. والأجفان جمع جفن وهو غمد السيف . يقول: لولا سيف الدولة ما أغنت السيوف شيأ ولكانت فى قلة الغناء كالأجفان لأن السيف انما يعمل بالضارب (٢) يقول : خاض الحمام ــ الموت ــ بسيوفه حتى لم يعلم أذلك الخوض من احتقار للموت أم نسيان للموت وغفلة عنه، ودرى مجهول درى لغة طىء (٣) المدى الغاية وأهل الزمان أى أهل الزمان الحاضر أى قصر عن بلوغ ما بلغ أهل زمانه وأهل كل زمان غيره (٤) تخذوا واتخذوا بمعنى يقول : ان أهل الزمان مجالسهم فى البيوت أما هو فأنه يرى أن الفتى لا يليق به أن يتخذ البيوت مجالس وانما سروج الخيل يقضى أيامه عليها فى الغارة على أعدائه (٥) الوغى والهيجاء من أسماء الحرب. وقوله والطعن إلى آخره كلام مستأنف يقول: وظنوا أن الحرب لعب أى إذا لعبوا فى الميدان فتطاعنوا بالرماح ظنوا أن ذلك هو الحرب والطعن فى اللعب غير الطعن فى الحرب لأن طعن اللعب طعن مع ابقاء ولا ابقاء فى الحرب . يريد ان أهل زمانه لاهون أما هو فلا يعرف غير الجد وطلب العلى

(٦) يقول : إذا قاد خيله إلى طعان الأبطال فى الحرب فقد قادها إلى ماهو عادة له وإلى وطنه لأنه من المعركة فى وطن (٧) كل إما بالرفع على أنه خبر عن ضمير محذوف يعود على الجياد واما بالنصب على أنه بدل من الجياد وابن سابقة أى كل

إنْ خُلِّيَتْ رُبِطَتْ بِآدَابِ الْوَغَى ... فَدُعَاؤُهَا يُغْنِي عَنِ الأَرْسَانِ (١)

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونَ غُبَارُهُ ... فَكَأَنَّمَا يُبْصِرْنَ بِالآذَانِ (٢)

يَرْمِي بِهَا الْبَلَدَ الْبَعِيدَ مُظَفَّرٌ ... كلُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانِ (٣)

فَكَأَنَّ أَرْجُلَهَا بِتُرْبَةِ مَنْبِجٍ ... يَطَرَحْنَ أَيْدِيَهَا بِحِصْنِ الرَّانِ (٤)

حَتَّى عَبَرْنَ بِأَرْسَنَاسَ سَوَابِحًا ... يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الفُرْسَانِ (٥)

يَقْمُصْنَ فِي مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ ... يَذَرُ الْفُحُولَ وَهُنَّ كَالْخِصْيَانِ (٦)

فرس ولدته سابقة من الخيل يقول : كل فرس كريم إذا نظر اليه صاحبه راقه وسر بحسنه وبدد أحزانه (١) الوغى من أسماء الحرب والأرسان جمع رسن ما يكون فى رأس الدابة تمنع به من التصرف يقول : ان خيله مؤدبة بآداب الحرب اذا خليت لم تبرح من مكانها فكأنها مربوطة واذا دعوتها أتتك فلا تحتاج إلى جذبها بالرسن

(٢) الجحفل الجيش العظيم . وفى جحفل حال من الجياد يقول : قاد خيله فى جيش عظيم قد تكاثف غباره حتى ستر العيون فلا تبصر فيه الخيل مع صدق حاسة نظرها ولكنها اذا أحست شيأ نصبت آذانها فكأنها تبصر بآذانها وهذا من بديع التخيل وفيه نظر الى قول البحترى

وَمُقَدِّمِ الأُذُنين تَحسِبُ أنَّه ... بهما رَأَى الشَّخْصَ الذى لأَمَامِهِ

(٣) يريد بالمظفر سيف الدولة . يقول : انه رجل قد عوده الله الظفر والنصر فلا يبعد عليه شىء فالبعيد فى نظره كالقريب فى نظر غيره لعزمه على الامور

(٤) منبج بلد بالشام على مرحلتين من حلب وحصن الران من بلاد الروم ، يريد سعة خطوها فى العدو — الجرى — يقول : كأن أرجلها بالشام وأيديها بالروم لبعد مواقع أيديها من أرجلها ، أى كأنها تقصد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة

(٥) أرسناس نهر بالروم بارد الماء جدا ، يريد لسرعتها فى السباحة تنتشر عمائم فرسانها (٦) يقمص يثبن . والمدى جمع مدية السكين . يقول : ان الخيل تثب فى هذا النهر الذى هو كالمدى — السكاكين — لضرب الريح اياه حتى صيرته طرائق كأنها مدى من ماء بارد يذر — يدع — الفحل كالخصى لتقاص خصيتيه لشدة برده

وَالمَاءُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخَلِّصٌ ... تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ (١)

رَكَضَ الأَمِيرُ وَكَاللُّجَيْنِ حَبَابُهُ ... وَثَنَى الأَعِنَّةَ وَهْوَ كَالعِقْيَانِ (٢)

فَتَلَ الجِبَالَ مِنَ الغَدَائِرِ فَوْقَهُ ... وَبَنَى السَّفِينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ (٣)

وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِغَيْرِ قَوَائِمٍ ... عُقْمَ البُطُونِ حَوَالِكَ الأَلْوَانِ (٤)

تَأْتِي بِمَا سَبَتِ الخُيُولُ كَأَنَّهَا ... تَحْتَ الحِسَانِ مَرَابِضُ الغِزْلاَنِ (٥)

بَحْرٌ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ ... مِنْ دَهْرِهِ وَطَوَارِقِ الحَدَثَانِ (٦)

فَتَرَكْتَهُ وَإِذَا أَذَمَّ مِنَ الوَرَى ... رَاعَاكَ وَاسْتَثْنَى بَنِي حَمْدَانِ (٧)

---

(١) العجاجة الغبرة . يقول : ان الجيش صار فريقين فى عبور هذا النهر فريق عبروا وفريق لم يعبروا بعد ولكل واحد منها عجاج — غبار — والماء بينهما والعجاجتان تفترقان بالماء وتلتقيان اذا كثرتا . وقال ابن جنى : يعنى عجاجة المسلمين وعجاجة الروم قال الواحدى وليس كما ذكر لأنهم عند عبور النهر ما كانوا قاتلوا الروم بعد ، ولكن البيت التالى يؤيد ما ذهب اليه ابن جنى (٢) اللجين الفضة والحباب الفقاقيع التى تعلو الماء والاعنة جمع عنان مايكون فى رأس الفرس والعقيان الذهب . يقول : عبر سيف الدولة هذا النهر وركض خيله الى الروم والماء أبيض كالفضة فلما قتلهم وجرت فيه دماؤهم عاد وقد احمر كالذهب (٣) الغدائر جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر . والسفين جمع سفينة . يقول . اتخذ حبال سفنه من ذوائب سباياه من نسائهم واتخذ خشبها من الصلبان التى استولى عليها من معابدهم وذلك لكثرة ما غنم وسبي

(٤) عادية أى راكضة من العدو — الركض — وعقم جمع عقيم وهو الذى لايلد . والحوالك الشديدة السواد . يقول : حشا ماء النهر سفنا تعدو ولا قوائم لها وهى عقم لاتلد والوانها سوداء لانها مقيرة — مطلية بالقار — شبه السفن بالخيل العادية والخيل لها قوائم ومن عادتها أن تنتج فبين أنه أراد السفن (٥) يقول : ان هذه السفن تحمل النساء التى سبتها الفوارس ، وكأنهن غزلان والسفن مرابض لها (٦) و (٧) بحر أى هو — النهر — بحر الخ . وأذم له من فلان أجاره منه . والحدثان حوادث الدهر ونوائبه وقوله واذا أذم جملة حالية . والورى الخلق . وبنو حمدان عشيرة سيف الدولة . يقول :

المُخْفِرِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ صَارِمٍ ذِمَمَ الدُّرُوعِ عَلَى ذَوِي التِّيجَانِ (١)
مُتَصَعْلِكِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ (٢)
يَتَقَيَّلُونَ ظِلَالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ أَجَلِ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةِ السِّرْحَانِ (٣)

هذا النهر الذى عبره سيف الدولة بحر تعود أن يجعل من وراءه فى ذمته فلا يصل اليهم أحد وهم فى جواره من الدهر وحوادثه ولكن لما عبرته أنت تركته بجير أهله من كل أحد الا من بنى حمدان ، يعنى ان غيرك لا يقدر على عبوره (١) المخفرين نعت بنى حمدان أو منصوب على المدح . ويقال خفرت الرجل اذا أجرته وأخفرته اذا نقضت عهده . والابيض السيف . والصارم القاطع . والذمم جمع ذمة . يقول : ان بنى حمدان هم الذين ينقضون عهود الدروع التى على الملوك بسيوفهم ، لما جعل الملوك فى ذمم الدروع لانهم تحصنوا بها وهى وقاء لهم فكأنهم فى خفارتها جعل سيوف بنى حمدان تنقض تلك الذمم بهتك دروعهم والوصول الى أرواحهم (٢) التصعلك التشبه بالصعاليك وهم المتلصصون الذين لا مال لهم وعلى كثافة ملكهم أي مع عظمة ملكهم وفخامته . يقول : هم على عظم ملكهم كالصعاليك لتعرضهم للغارات وشدائد الاسفار ، وهم مع عظم شأنهم يتواضعون للناس كرما ولينا

(٣) التقيل النوم فى القائلة وهى نصف النهار . والمطهم الحسن التام الخلق من الخيل . والظليم الذكر من النعام . والربقة العروة من حبل يشد بها . والسرحان الذئب . يقول : إذا خرجوا فى الغارات استظلوا عند اشتداد الحر بظل خيولهم ، يعنى أنهم مثل البدو لا ظل لهم فاذا قالوا — من القيلولة — لجأوا الى ظلال خيلهم ومعنى قوله أجل الظليم وربقة السرحان انها — الخيل — إذا طردت النعام والذئاب أدركتها فقتلتها ومنعتها من العدو وهذا من قول امرئ القيس

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلٍ

وامرؤ القيس هو أول من قال قيد الأوابد ثم تبعه الشعراء قال ابن الرومى فى الغزل

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الحَلَالُ لَوَ انَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمِلِ وَإِنْ هَى أَوْجَزَتْ وَدَّ المُحَدَّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزِ
شَرَكُ العُقُولِ وَنُزْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ وَعُقْلَةُ المُسْتَوْفِزِ

خَضَعَتْ لِمُنْصُلِكَ المَنَاصِلُ عَنْوَةً ... وَأَذَلَّ دِينُكَ سَائِرَ الأَدْيَانِ (١)

وَعَلَى الدُّرُوبِ وَفِي الرُّجُوعِ غَضَاضَةٌ ... وَالسَّيْرُ مُمْتَنِعٌ مِنَ الإِمْكَانِ (٢)

وَالطُّرْقُ ضَيِّقَةُ المَسَالِكِ بِالقَنَا ... وَالكُفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الإِيمَانِ (٣)

نَظَرُوا إِلَى زُبَرِ الحَدِيدِ كَأَنَّمَا ... يَصْعَدْنَ بَيْنَ مَنَاكِبِ العِقْبَانِ (٤)

وَفَوَارِسٍ يُحْيِي الحِمَامُ نُفُوسَهَا ... فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الحَيَوَانِ (٥)

ورواية يتقيلون هي رواية ابن حنى وذهب فى معناها مذهبا غير الذى أسلفنا قال يتقيلون من قولهم فلان يتقيل اباه إذا كان يدعه والمعنى يتقيلون آباءهم السابقين فى الشرف والسبق إليه كالفرس المطهم . وقال ابن فورجه وابن القطاع انما الرواية يتفيأون يعنى أنهم يستظلون في شدة الحر بأفياء خيلهم ، يصفهم بالتغرب والتبدى

(١) المنصل السيف وعنوة أى قهرا (٢) و (٣) و (٤) على الدروب صلة نظروا فى البيت الثالث أو حال من ضميره والدروب المداخل إلى الروم . والغضاضة الذلة والعار أى ما يغض من الانسان . والقنا الرماح . والمراد بالكفر والايمان أصحابهما . والزبر جمع زبرة وهى القطعة من الحديد والمراد السيوف . والعقبان جمع عقاب الطائر المعروف يقول : حين كنا على الدروب وقد اشتدت الحال حتى تعذر علينا الانصراف والرجوع لما فى ذلك من العار والغضاضة وتعذر التقدم لكثرة الجيوش أمامنا وقد ضاقت الطرق لكثرة الرماح واشتباكها وأهل الكفر قد أحاطوا بأهل الايمان وتكاثروا عليهم — فى هذه الأحوال وفى هذا المكان نظر الروم إلى سيوف المسلمين ترتفع فى الهواء — عند رفع الأبطال اياها للضرب — كأنها تصعد بين مناكب العقبان فلا يرونها إلا فوق رؤسهم ، أو تقول فى هذه الأحوال نظر الروم إلى المسلمين وهم مقنعون فى الحديد حتى كأنهم قطع الحديد لاشتماله عليهم وهم فوق خيل كالعقبان فى خفتها وسرعتها

(٥) فوارس عطف على زبر الحديد . والحمام الموت . يقول : ونظروا إلى فوارس اذا قتلوا فى الحرب حيوا أى يرون حياتهم فى قتلهم فى الحرب وكأنهم ليسوا من الحيوان لأن الحيوان لا يحيى بهلاكه ، يعنى أنهم غزاة مجاهدون فى سبيل الله من استشهد منهم بالقتل صار حيا مرزوقا عند الله كما قال سبحانه وتعالى لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، وهذا ينظر الى قول أبى تمام

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمُ ... لاَ يَيْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

مازِلْتَ تَضْرِبُهُمْ دِرَاكاً فِي الذُّرَى ... ضَرْباً كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ (١)

خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا ... جاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانِ (٢)

فَرَمَوْا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَدْبَرُوا ... يَطَؤُنَ كُلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانِ (٣)

يَغْشَاهُمُ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلاً ... بِمُثَقَّفٍ وَمُهَنَّدٍ وَسِنَانِ (٤)

حُرِمُوا الَّذِي أَمَّلُوا وَأَدْرَكَ مِنْهُمُ ... آمَالَهُ مَنْ عادَ بِالْحِرْمَانِ (٥)

وَإِذَا الرِّمَاحُ شَغَلْنَ مُهْجَةَ ثَائِرٍ ... شَغَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنِ الإِخْوَانِ (٦)

(١) الدراك المتابعة . والذرى جمع ذروة وهي أعلى كل شيء يقول : مازلت تضربهم ضربا متتابعا فى أعالى أبدانهم يعمل السيف الواحد فيه عمل سيفين من السرعة أو لأنه ينفذ المضروب الى آخر فيقطعه أيضا فكأنه سيفان ، وقال ابن جنى يريد أنك سيف ومعك سيف فالضرب ضرب سيفين (٢) الضمير فى خص يعود على الضرب . والجماجم جمع جمجمة وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ يقول : ان هذا الضرب لايقع الى فى وجه أو فى رأس لأنه أوحى قتلا ولا يتعرض لسائر الجسد فكأن أجسامهم أتت اليك بأمان ومن ثم لا تتعرض لها (٣) الحنية القوس . والمرنان التى يسمع لها رنين . يقول : رموا قسيهم التى كانوا يرمون عنها ثم انهزموا مدبرين يطؤن في هزيمتهم تلك القسى التى رموك بها (٤) مفصلا من تفصيل القلادة وهو أن يجعل بين كل لؤلؤتين خرزة . والمثقف المقوم يعنى الرمح . والمهند السيف الهندى . والسنان الزج الذى فى أسفل الرمح يقول : كان وقع السلاح كوقع المطر يأتى دفعة دفعة وأراد بالسحاب الجيش وبالمطر الوقعات التى تقع بهم من السيوف والرماح وهي تقع بهم مفصلة لأنهم يضربون تارة بالرماح وتارة بالسيوف (٥) يقول : حرموا ما أملوا من الظفر بك فصار من عاد منهم الى بيته بالحرمان يعد نفسه مدركا أمله لأنه نجا بنفسه ، وعاد يروى عاذ — بالذال المعجمة — من عذت بالشيء امتنعت به وعلى هذه الرواية يكون المعنى أدرك أمله منهم من لجأ الى الرضى بالحرمان فترك الحرب وسلم بنفسه « هذا » ويقال أملت الشيء تأميلا وأملته آمله أملا (٦) المهجة الروح . والثائر طالب الدم يقول : اذا تناوشت الرماح طالب ثأر شغلته صيانة روحه عن ادراك ثأر اخوانه ، يعنى أن الروم لما أحسوا بالتهلكة خذل بعضهم بعضا وشغلوا بأنفسهم عن ادراك ثأر قتلاهم

هَيْهَاتَ عَاقَ عَنِ الْعِوَادِ قَوَاضِبٌ ... كَثُرَ الْقَتِيلُ بِهَا وَقَلَّ الْعَانِي (١)

وَمُهَذَّبٌ أَمَرَ الْمَنَايَا فِيهِمِ ... فَأَطَعْنَهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ (٢)

قَدْ سَوَّدَتْ شَجَرَ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ ... فَكَأَنَّ فِيهِ مُسِفَّةَ الْغِرْبَانِ (٣)

وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي ... فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الْأَغْصَانِ (٤)

إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ ... كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَقَى الْجَمْعَانِ (٥)

تَلْقَى الْحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةِ حَدِّهِ ... مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ (٦)

---

(١) العواد المعاودة مصدر عاود بمعنى عاد . والقواضب السيوف . والعانى الأسير . يقول بعد ما أملوا من العود الى القتال فقد عاقهم عن ذلك سيوف كثرت بها القتلى منهم وقل الأسير أى انهم لم يؤسروا بل قتلوا (٢) مهذب عطف على قواضب . يقول: يعوقهم عن العودة مهذب ــ يعنى سيف الدولة ــ اطاعته المنايا فى اهلاكهم ــ أى الروم ــ وهذه الطاعة أى طاعة المنايا له هى طاعة لله سبحانه لأنه جهاد فى سبيل الله

(٣) المسفة من قولهم أسف الطائر اذا دنا من الأرض فى طيرانه . والضمير فى قوله فيه للشجر . يقول : كثرت قتلاهم حتى أطارت الريح شعورهم على اشجار الجبال فاسودت بها فكأن الغربان وقعت عليها ، شبه سواد شعورهم على الأشجار بالغربان السود

(٤) النجيع الدم . والقانى الشديد الحمرة . واصله الهمز فلينه . والنارنج معروف . يقول لما بعثر شعورهم على الأشجار اسودت ولما جرت دماؤهم على ورق الشجر احمر فصار لحمرته كأنه النارنج فى الأغصان (٥) يقول : ان السيوف انما تعين الشجعان الذين لا يفزعون فى الحرب كما لا تفزع هي ؛ ولما ذكر قلوبهم استعارها ــ للسيوف ــ قلوبا وهذا من قول البحترى

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا بَزُّ غَادٍ لِزِينَةٍ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهْ

(٦) تلقى أى أيها المخاطب . والحسام السيف القاطع . وعلى جراءة حده أى مع جراءة حده يريد مع مضائه فى الضربة فعبر عن ذلك بالجراءة لمقابلة الجبان . يقول: ان السيف الماضى اذا كان فى يد الجبان لم يغن فى يده شيأ كما لا يغنى الجبان لأن الفعل للضارب

رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ ... قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النِّيرَانِ (١)

أَنْسَابُ فَخْرِهِمِ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا ... أَنْسَابُ أَصْلِهِمِ إِلَى عَدْنَانِ (٢)

يَا مَنْ يُقَتِّلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ ... أَصْبَحْتُ مِنْ قَتْلَاكَ بِالْإِحْسَانِ (٣)

فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونَكَ نَاظِرِي ... وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَ فِيكَ لِسَانِي

وقال فى صباه فى المكتب

أَبْلَى الْهَوَى أَسَفًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي ... وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ (٤)

(١) العماد الأبنية الرفيعة يذكر ويؤنث الواحدة عمادة ويقال فلان رفيع العماد اذا كان فى قومه شريفا فهم يعنون عماد بيت الشرف والعرب تضع البيت موضع الشرف فى النسب والحسب : والقمم جمع قمة وهى أعلا الرأس . والمواقد جمع موقد : يقول : ارتفعت بك العرب وشرفت وقاتلوا الملوك فأوقدوا على رؤسهم نار الحرب، ولك أن تقول قاتلوا الملوك فقطعوا رؤسهم وجعلوا جماجمهم أثافى احتقارا لهم

(٢) يقول : هم ينتسبون من جهة آبائهم الى عدنان ولكنهم فى الفخر والشرف ينتسبون اليك (٣) يقول : أنت تقتل من أردت بسيفك، أى لا يمتنع منك قتل من أردت لكنك أحسنت الى وغمرتنى باحسانك حتى قتلتنى أى استعبدتنى بالمنة والاحسان

(٤) يقال بلى الثوب يبلى بلى وبلاء وابلاه غيره يبليه ابلاء . والاسف شدة الحزن ونصب أسفا على المصدر وعامله محذوف دل عليه ما تقدمه لان ابلاء الهوى بدنه يدل على أسفه كأنه قال أسفت أسفا . ويوم النوى ظرف لأبلى ويجوز أن يكون معمول المصدر الذى هو قوله أسفا . والنوى البعد . والوسن النوم . ومعنى ابلاء الهوى البدن اذهابه لحمه وقوته بما يورد عليه من شدائده وخص يوم النوى لأن برح الهوى انما يشتد عند الفراق والهوى عذب مع الوصال سم مع الفراق كما قال السرى الرفاء

وَأَرَى الصَّبَابَةَ أَرْيَةً مَالَمْ يَشُبْ ... يَوْمًا حَلَاوَتَهَا الْفِرَاقُ بِصَابِهِ

« أرية فعلة من الارى وهو العسل » يقول : أفضى الهوى ببدنى الى الاسف والهزال يوم الفراق ، وأبعد هجر الحبيب بين جفنى والنوم ، أى لم أجد بعده نوما

رُوحٌ تَرَدَّدُ فِي مِثْلِ الخِلَالِ إِذَا أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنْهُ الثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ (١)
كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلاَ مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي (٢)

وَقَالَ فِي صِبَاهُ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ التَّنُوخِيِّينَ وَقَدْ سَأَلَهُ ذَلِكَ

قَضَاعَةُ تَعْلَمُ أَنِّي الفَتَى الَّذِي ادَّخَرَتْ لِصُرُوفِ الزَّمَانِ (٣)

(١) روح مبتدا محذوف الخبر أى لى روح . والروح يذكر ويؤنث ومن ثم لك أن تجعل تردد فعلا ماضيا على تذكير الروح وأن تجعله مضارعا على تأنيثها وأصله تتردد بتاءين فحذفت احداهما للتخفيف. والخلال هو ذلك العود الدقيق الذى تخلل به الاسنان يقول : لى روح تذهب وتجيء في بدن مثل الخلال فى النحول والدقة اذا طيرت الريح عنه الثوب الذى عليه لم يظهر ذلك البدن لدقته ، أى انما يرى لما عليه من الثوب فاذا ذهب عنه الثوب لم يظهر ، ويجوز أن يكون معنى لم يبن لم يفارق أى أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب لخفته ، قال الواحدى : وأقرأنى أبو الفضل العروضى فى مثل الخيال قال — العروضى — أقرأنى أبو بكر الشعرانى خادم المتنبى الخيال قال ولم أسمع الخلال الا بالراى فما دونه يدل على صحة هذا ان الوأواء الدمشقى سمع هذا البيت فأخذه فقال

وَمَا أَبْقَى الهَوَى وَالشَّوْقُ مِنِّي سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي خَيَالِ
خَفِيتُ عَلَى النَّوَائِبِ أَنْ تَرَانِي كَأَنَّ الرُّوحَ مِنِّي فِي مُحَالِ

(٢) الباء فى بجسمى زائدة وجسمى مفعول كفى ونحولا تمييز وانى رجل فى تأويل مصدر فاعل كفى . يقول : — لصاحبه — : كفانى فعل النحول بى انى رجل لو لم اتكلم لم يقع على البصر ، أى انما يستدل على بصوتى كما قال أبو بكر الصنوبرى

ذُبْتُ حَتَّى مَا يُسْتَدَلُّ عَلَى أَنْـ ـنِي حَيٌّ إِلاَّ بِبَعْضِ كَلاَمِي

وأصل هذا المعنى قول الأخطل

ضَفَادِعُ فِي ظَلْمَاءَ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ البَحْرِ

(٣) قضاعة بطن من حمير وهى قبيلة التنوخى . والفتى أصله الكريم الشجاع القوى. يقول : قبيلتى تعلم أنى فتاها الذى يحتاجون اليه فيدخرونه لدفع ما ينزل بهم من الحوادث لمكانه من الشجاعة وسداد الرأى . وليلاحظ أن هذه الأبيات هى على لسان غيره وهو من أهل اليمن

وَمَجْدِي يَدُلُّ بَنِي خِنْدِفٍ ... عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانِ (١)

أَنَا ابْنُ اللِّقَاءِ أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ ... أَنَا ابْنُ الضِّرَابِ أَنَا ابْنُ الطِّعَانِ (٢)

أَنَا ابْنُ الفَيَافِي أَنَا ابْنُ القَوَافِي ... أَنَا ابْنُ السُّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرِّعَانِ (٣)

طَوِيلُ النِّجَادِ طَوِيلُ العِمَادِ ... طَوِيلُ القَنَاةِ طَوِيلُ السِّنَانِ (٤)

حَدِيدُ اللِّحَاظِ حَدِيدُ الحِفَاظِ ... حَدِيدُ الحُسَامِ حَدِيدُ الجَنَانِ (٥)

يُسَابِقُ سَيْفِي مَنَايَا العِبَادِ ... إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانِ (٦)

---

(١) خندف امرأة إلياس بن مضر ينسب اليها أحد فخذى مضر : يقول : ان شرفى يدلهم على أن كل كريم يمنى أى من قبائل اليمن لأنى منهم

(٢) جرت عادت العرب أن يقولوا لكل من لزم شيأ أنه ابنه حتى قالوا لطير الماء ابن الماء . واللقاء ملاقاة الأقران فى الحرب والضراب مصدر ضارب يضارب ضرابا وهو من ضرب السيف . والطعان كذلك مصدر طاعن يطاعن طعانا وهو من الطعن بالرمح . يقول : أنا صاحب هذه الأشياء لا أفارقها (٣) الفيافى جمع فيفاء وهى الفلاة . والقوافى جمع قافية وهى فى الأصل آخر البيت وقد يقولون للقصيدة قافية . والرعان جمع رعن وهو أنف الجبل الشاخص منه . يقول : أنا صاحب الفلوات لكثرة جولى اياها ، وصاحب القصائد أجيدها وأبدع فيها ، وصاحب الجبال لكثرة سلوكى طرقها

(٤) النجاد حمالة السيف وطولها دليل على طول القامة والطول مما تتمدح به العرب

وَإِنَّ أَعِزَّاءَ الرِّجَالِ طِيَالُهَا

والعماد عمود الخيمة الذى تقوم عليه وذلك مما يمدح به لأنه يدل على كثرة حاشيته وزواره . وطول القناة — الرمح — يدل على قوة حاملها لأنه لايقدر على استعمال القناة الطويلة الا القوى (٥) اللحاظ طرف العين مما يلى الصدغ يريد أن بصره حديد يرى مقاتل عدوه فى الحرب . والحفاظ المحافظة على ما يجب حفظه . والحسام السيف القاطع . والجنان القلب يقول : هذه الأشياء منى حديدة — قوية —

(٦) المنايا جمع منية وهى الموت . والرهان السباق . يقول : سيفى يبادر آجال الناس ليسبقها فيقتلهم قبل انقضاء آجالهم ، قال عنترة

وَأَنَا المَنِيَّةُ فِي المَوَاقِفِ كُلِّهَا ... وَالطَّعْنُ مِنِّي سَابِقُ الآجَالِ

يَرَى حَدُّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي (١)
سَأَجْعَلُهُ حَكَمًا فِي النُّفُوسِ وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي (٢)

وقال أيضاً فى صباه

كَتَمْتُ حُبَّكِ حَتَّى مِنْكِ تَكْرِمَةً
ثُمَّ اسْتَوَى فِيكِ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي (٣)
كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَسَدِي فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كِتْمَانِي (٤)

ومثله قول أبى تمام

يَكَادُ حِينَ يُلَاقِي الْقِرْنَ مِنْ حَنَقٍ قَبْلَ السِّنَانِ عَلَى حَوْبَائِهِ يَرِدُ

(١) الضمير في حده للسيف والهبوة الغبار . وغامضات القلوب أى القلوب الغامضة فى الأبدان وانما خصها دون سائر الأعضاء الغامضة لأنها مقاتل بلا شك . وقوله : لا أرانى قال الواحدى لا يجوز أرانى بمعنى أرى نفسى وانما يجوز ذلك فى أفعال معدودة نحو ظننتنى وخلتنى وبابهما . يقول : يرى حد سيفى قلوب الاعداء فى وقت لا يرى فيه حامله نفسه من شدة الغبار فيهتدى اليها ، وهذا من قول زيد الخيل

وَأَسْمَرَ مَرْفُوعٍ يَرَى مَا أَرَيْتُهُ بَصِيرٌ إِذَا صَوَّبْتُهُ بِالْمَقَاتِلِ

« أى هيأته نحو العدو » وقال أبو تمام

مِنْ كُلِّ أَزْرَقَ نَظَّارٍ بِلَا نَظَرٍ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَتْنِهِ أَوَدُ

(٢) الحكم بمعنى الحاكم . يقول : سأقتل من أعدائى ماشئت ولسانى كسيفى فى الحدة فلو جعلت لسانى مكان سيفى لاكتفيت به لانى أبلغ من التأثير فى أعدائى بلسانى ما يبلغه السيف . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى ولو ناب اللسان عن السيف بأن يطيعوا أمرى لم أستعمل فيهم السيف (٣) يقول : تكرمت بكتمان حبك حتى كتمته منك أيضا — ويجوز أن يكون المعنى — معنى تكرمة — اكراما للحب واعظاما له حتى لا يطلع عليه ، ثم تغيرت الحال حتى صار الاعلان والاسرار سواء ، يعنى لم ينفع الاسرار وصار كالاعلان حيث ظهر الحب بالشواهد الدالة عليه وبطل الكتمان (٤) يقول : كأن الحب زاد حتى لم أقدر على امساكه وكتمانه ثم فاض عن جسدى

ودخل على على بن ابراهيم التنوخى فعرض عليه كأساً فيها شراب أسود فقال ارتجالاً

إِذَا مَا الْكَأْسُ أَرْعَشَتِ الْيَدَيْنِ
صَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِى وَبَيْنِى (١)
هَجَرْتُ الْخَمْرَ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى فَخَمْرِى مَاءُ مُزْنٍ كَاللُّجَيْنِ (٢)
أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهْىَ تَجْرِى عَلَى شَفَةِ الْأَمِيرِ أَبِى الْحُسَيْنِ (٣)

كما يفيض الماء اذا زاد على ملء الاناء وصار سقمى بالحب فى جسم الكتمان ، أى سقم كتمانى وضعف واذا سقم الكتمان صح الافشاء والاعلان ، وعبارة ابن الشجرى فى أماليه : شبه أبو الطيب حبه بالاشياء المائعة فوصفه بالفيض ثم قال ـ المتنبى ـ فصار سقمى ـ لما أفرط حبى فى الزيادة وصار كالشىء الفائض ـ صار سقمى قويا به وانتقل الى جسم كتمانى فاذابه وأضعفه فلما ضعف الكتمان ظهر الحب لضعف مخفيه

(١) أرعشت من الرعشة وهى الرعدة أى حركت اليدين لسكر شاربها . وقوله بينى وبينى أى بينى وبين عقلى يقول: غيرى يشرب الخمر حتى ترعش يداه سكرا أما أنا فانى أبقى على صحوى أى لا أشربها حتى لا تحول الكأس بينى وبين عقلى

(٢) المزن جمع مزنة السحابة البيضاء . واللجين الفضة . وقوله كالذهب المصفى حال من الخمر . وقد قابل بين الفضة وبين الذهب (٣) هذا من قول أبى تمام

أَغَارُ مِنَ الْقَمِيصِ إِذَا عَلَاهُ مَخَافَةَ أَنْ يُلَامِسَهُ الْقَمِيصُ

ومن قول الخبز أرزى

مِنْ لُطْفِ إِشْفَاقِى وَدِقَّةِ غَيْرَتِى أَنِّى أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلْكِيكَا
وَلَوِ اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لَفْظَكَ غَيْرَةً إِنِّى أَرَاهُ مُقَبِّلًا شَفَتَيْكَا

قال الواحدى : ولقد أساء أبو الطيب لأن الأمراء لا يغار على شفاههم ، ويقول من يعذره ـ المتنبى ـ انما يغار لأنه يرفع شفتيه عن رتبة الكأس والخمر لأنهما ـ أى شفتيه ـ للأمر والنهى والالفاظ الحسنه والأمر بالصلة ، ويجوز أن الزجاجة نالت مالم ينله أحد فهو يغار حيث لا تستحق الزجاجة ذلك

كَأَنَّ بَيَاضَهَا وَالرَّاحُ فِيهَا بَيَاضٌ مُحْدِقٌ بِسَوَادِ عَيْنِ (١)

أَتَيْنَاهُ نُطَالِبُهُ بِرِفْدٍ يُطَالِبُ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدَيْنِ (٢)

وقال يمدح بدر بن عمار وقد سار إلى الساحل ثم عاد إلى طبرية وكان أبو الطيب قد تخلف عنه فمال يعتذر إليه

أَلْحُبُّ مَامَنَعَ الْكَلَامَ الْأَلْسُنَا وَأَلَذُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَا (٣)

---

(١) الضمير فى بياضها للزجاجة والراح الخمر وأحدق به أحاط به . يقول : كأن الزجاجة البيضاء وفيها هذه الخمر السوداء بياض محدق بسواد عين (٢) الرفد العطاء . يقول : ان الرفد الذى سألناه إياه عده هو دينا على نفسه واجب الأداء لمكانه من الكرم والأريحية كما قال أبو تمام

غَرِيمٌ لِلْمُلِمِّ بِهِ وحاشا نَدَاهُ مِن مماطلةِ الغريمِ

وقال أيضا

ألا نَدًى كالدَّيْنِ حَلَّ قَضَاؤُهُ إنَّ الكريمَ لمُعْتفيهِ غريمُ

(٣) ذهب الشراح إلى أن ما فى قوله الحب ما منع الكلام الألسنا موصولة بمعنى الذى والألسنا إما بضم السين جمع لسان واللسان الجارحة واللغة أيضا قال جل شأنه وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه وقد يؤنث ويذكر فمن أنثه قال فى جمعه ثلاث ألسن كذراع وأذرع ومن ذكره قال فى جمعه ثلاثة السنة ، وروى الألسنا بفتح السين وهو الذلق الفصيح . يقول: غاية الحب أن يمنع لسان صاحبه من الكلام فلا يقدر على وصف ما فى قلبه منه كما قال المجنون

ولَمَّا شَكَوْتُ الْحُبَّ قالتْ كَذَبْتَنِي فَمَالِي أَرَى الأعضاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا

فَمَا الْحُبُّ حَتَّى يلصقَ الجِلْدُ بالحشا وتَخْرَسَ حتى لا تُجيبَ المُنَادِيَا

وكما قال قيس بن ذريح

وما هُوَ إلاَّ أن أراها فُجَاءَةً فَأُبْهَتَ حَتى ما أكادُ أجِيبُ

قال الوحدى : والظاهر أن ما — فى قوله ما أعلنا — نفى لان المصراع الثانى حث على اعلان العشق وانما يعلن من قدر على الكلام ، وهذا كما يقول أبو نواس

لَيْتَ الحَبِيبَ الَّذِي هَجَرَ الكَرَى

مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَاصِلِي صِلَةَ الضَّنَا(١)

بِنَّا فَلَوْ حَلَّيْتَنَا لَمْ تَدْرِ مَا أَلْوَانُنَا مِمَّا امْتُقِعْنَ تَلَوُّنَا(٢)

وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ الْعَوَذِلُ بَيْنَنَا(٣)

فَبُحْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الكِنَى فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ

ويقول على بن الجهم

تَهَتَّكْ وَبُحْ بِالعِشْقِ جَهْراً فَقَلَّمَا يَطِيبُ الهَوَى إِلَّا لِمُنْهَتِكِ السِّتْرِ

ويقول السرى الرفاء

ظَهَرَ الهَوَى وَتَهَتَّكَتْ أَسْرَارُهُ وَالحُبُّ خَيْرُ سَبِيلِهِ إِظْهَارُهُ

أَعْصِي العَوَاذِلَ فِي هَوَاهُ جَهَارَةً فَأَلَذُّ عَيْشِ المُسْتَهَامِ جِهَارُهُ

ولعل مادعا الواحدى إلى جواز أن تكون ما نفيا هو ما يظهر من التناقض فى البيت اذا جعلت ماموصوله ومن ثم قال بعض الشراح عقب شرحه البيت بما شرحناه للتفصى من هذا التناقض: فقد وقع المحب فى بلاء بين هذين : أى بين كون حق الحب أن يغلب على اللسان وبين كون ألذ الشكوى الاعلان (١) هجر وصلة مفعولان مطلقان وواصلى خبر ليت. والكرى النوم .والجرم الذنب . والضنى المرض والهزال . يقول : ليت الحبيب الذى هجرنى من غير ذنب كهجر النوم لاجفانى يواصلنى كمواصلة الضنى لجسمى من أجل صده وبعده عنى ، يعنى أن الضنى ملازم له فتمنى أن يكون وصل الحبيب ملازما له ملازمة الضنى جسده ،

(٢) بنا افترقنا . وحليتنا وصفت حليتاوهى هيئة الشخص وما يتميز به . وامتقع لونه تغير حياء أو خيفة وتلوناامفعول له . يقول : فارقنا أحبابنا ولعظم ما نالنا من ألم الفراق لو أردت أن تصفنا ما قدرت لتغير ألواننا فكنت لا تدرى بأى لون تصفنا

(٣) أشفقت خفت . وقوله تحترق أراد أن تحترق فحذف أن. والعواذل جمع العاذلة — اللائمة — يقول : لشدة حرارة الوجد صارت أنفاسنا كالنار المتوقدة حتى خفت

أَفْدِي المُوَدِّعَةَ الَّتِي أَتْبَعْتُهَا نَظَرًا فُرَادَى بَيْنَ زَفْرَاتٍ ثُنَا (١)

أَنْكَرْتُ طَارِقَةَ الحَوَادِثِ مَرَّةً ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا (٢)

وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الفَلَا وَرَكَائِبِي فِيهَا وَوَقْتَيَّ الضُّحَى وَالمَوْهِنَا (٣)

وَوَقَفْتُ مِنْهَا حَيْثُ أَوْقَفَنِي النَّدَى وَبَلَغْتُ مِنْ بَدْرِ بْنِ عَمَّارٍ المُنَا (٤)

لِأَبِي الحُسَيْنِ جَدًى يَضِيقُ وِعَاؤُهُ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ الوِعَاءُ الأَزْمُنَا (٥)

على العواذل أن يحترقن فيما بيننا ، قال الواحدى : وانما خاف ذلك لانه كان ينم على مافى قلوبهم من حرارة الهوى (١) فرادى اسم جمع لفرد . والزفرات جمع زفرة وهى النفس الحار وسكن فاءه ضرورة . وثنا من قولهم جاء القوم ثناء أى اثنين وانما قصرها للقافية . يقول : أفدى بنفسى هذه المحبوبة التى قد ودعتنى فكلما نظرت اليها نظرة واحدة زفرت زفرتين لشدة مافى صدرى من حرارة الوجد (٢) الديدن العادة . يقول : أنكرت حوادث الدهر أول ما طرقتنى وقلت ليست تقصدنى وانما أخطأت فى قصدى ثم لما كثرت وتتابعت أقررت بها وعرفت أنها تأتينى فصارت عادة لى لا تفارقنى ولا أنفك منها ، وهذا المعنى من قول الآخر

رُوِّعْتُ بِالبَيْنِ حَتَّى مَا أُرَاعُ لَهُ وَبِالحَوَادِثِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي

(٣) الفلا جمع فلاة المفازة البعيدة . والركائب جمع ركاب وهي الابل . والموهن نحو نصف الليل . يصف كثرة أسفاره وتردده في الدنيا حتى قطع الفلوات وقطع المركوب أيضا بكثرة الانعاب ، وقطع الليل والنهار ، يعنى أنه قطع المكان والزمان والمركوب ، يريد أنه أفنى كلا منها بأسفاره (٤) منها أى من الدنيا ويروى فيها . ويقال وقفت ووقفنى زيد ووقفت دابتى ووقفت وقفا المساكين فقوله أوقفنى الندى معناه عرضنى للوقوف قال أبو عمرو بن العلاء لو قال رجل فلان أوقفنى أى عرضنى للوقوف لم أر بذلك بأسا ، وأوقفته لغة عند بعضهم . والمنى جمع منية وهى الشىء الذى تتمناه . يقول : وقفت من الدنيا حيث حبسنى الجود — يريد عند الممدوح — أى لما انتهى اليه انقطع عن السفر لأنه أدرك عنده ما كان يتمناه ، وهذا من الخالص الحسنة

(٥) الجدا العطاء أى ما تعطيه مجتديك . يقول : ان عطاءه لا يسعه وعاء ولو كان ذلك الوعاء الدهور مع سعتها للعالم بما فيه واذا ضاقت الدهور عن شىء فحسبك به عظما

وَشَجَاعَةٌ أَغْنَاهُ عَنْهَا ذِكْرُهَا ... وَنَهَى الْجِبَانَ حَدِيثُهَا أَنْ يَجْبُنَا (١)

نِيطَتْ حَمَائِلُهُ بِعَاتِقِ مِحْرَبٍ ... مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا انْثَنَى (٢)

فَكَأَنَّهُ وَالطَّعْنُ مِنْ قُدَّامِهِ ... مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْعَنَا (٣)

نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِدَّةُ ذِهْنِهِ ... فَقَضَى عَلَى غَيْبِ الْأُمُورِ تَيَقُّنَا (٤)

يَتَفَزَّعُ الْجَبَّارُ مِنْ بَغَتَاتِهِ ... فَيَظَلُّ فِي خَلَوَاتِهِ مُتَكَفِّنَا (٥)

أَمْضَى إِرَادَتَهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدٌ ... وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى فَثَمَّ لَهُ هُنَا (٦)

---

(١) شجاعة عطف على جدى فى البيت السابق . يقول : ان ذكر شجاعته واشتهارها بين الناس أغناه عن اظهارها واستعمالها فكل أحد يهابه لما يسمع من شجاعته ، وذلك أيضا يشجع الجبان لأنه يسمع مايتكرر فيترك حينئذ الجبن (٢) نيطت علقت. والحمائل علائق السيف . والعاتق مابين المنكب والعنق . والمحرب صاحب الحرب الممارس لها ويعنى به الممدوح على جهة التجريد .وكر عليه فى الحرب عطف . وانثنى رجع يقول : علقت حمائل سيفه بعاتق رجل قد تمرس بالحرب واعتركها واعتركته ما كر قط لأن الكر يكون بعد الفر وهو لم ينثن عن حرب ولم يول العدو ظهره فكيف يكر وهذا منقول من قول الآخر

أَللهُ يَعْلَمُ لَسْتُ أَذْكُرُهُ ... وَكَيْفَ أَذْكُرُهُ إِذْ لَسْتُ أَنْسَاهُ

قال ابن جنى: الشعراء الفصحاء القدماء والمحدثون قد يصفون الكر بعد الانحياز لأن الحرب خدعة وتحتاج الى الطراد والطرد الا أنه بالغ ولم يجعله يكر لأنه لا ينثنى (٣) يقول : لشدة اقدامه فى الحرب لا يرجع ولا يلتفت الى خلفه فهو أبدا مقدم فكأنه يخاف طعنا من خلفه فهو يتقدم خوفا مما وراءه كما قال بكر بن النطاح

كَأَنَّكَ عِنْدَ الطَّعْنِ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى ... تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَا

(٤) التوهم خلاف التيقن . وهذا كأنه اعتذار مما ذكره من افراطه واقدامه فقال ان فطنته تقفه على عواقب الأمور حتى يعرفها يقينا لاوهما (٥) الجبار العظيم الشديد البطش . وبغتاته جمع بغتة وهو ما يفعل فجأة . والمتكفن لابس الكفن يقول : ان الرجل الجبار يخاف أن يأخذه بغتة ويهجم عليه من حيث لا يدرى فيظل لابس كفنه توقعا لبغتته وتأهبا للموت (٦) سوف للاستقبال وقد لما مضى ومقاربة الحال والأقصى

يَجِدُ الحَدِيدَ عَلَى بَضَاضَةِ جِلْدِهِ ثَوْبًا أَخَفَّ مِنَ الحَرِيرِ وَأَلْيَنَا (١)

وَأَمَرُّ مِنْ فَقْدِ الأَحِبَّةِ عِنْدَهُ فَقْدُ السُّيُوفِ الفَاقِدَاتِ الأَجْفُنَا (٢)

لَا يَسْتَكِنُّ الرُّعْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ يَوْمًا وَلَا الإِحْسَانُ أَنْ لَا يُحْسِنَا (٣)

الأبعد . وثم للمكان البعيد المتراخي وهنا يستعمل فيما قرب ودنا . يقول : هو ماضى الأرادة فما يقال فيه سوف يكون يقول عنه قد كان ، والبعيد عنده قريب لقوة عزمه فما يقال فيه ثم — هنالك — يقول هو هنا ، يعنى أن ما يكون من العزائم مستقبلا عند غيره يعده ماضيا لأنه سيقع لا محالة فكأنه قد وقع وما يكون من المطالب بعيدا على غيره يعده حاصلا بين يديه ثقة منه بأنه لا يفوته . هذا وقد استعمل هذه الكلمات — سوف وقد وهنا — استعمال الأسماء ولذلك اعرب قد ونونها (١) البضاضة مثل الغضاضة يقال غض بض أى طرى لين . يقول : انه تعود لبس الدروع فى الحروب حتى صار يجدها خفيفة لينة كالحرير على بضاضته ونعومته ، وفى هذا نظر إلى قول البحترى

مُلُوكٌ يَعُدُّونَ الرِّمَاحَ مَخَاصِرًا إِذَا زَعْزَعُوهَا وَالدُّرُوعَ غَلَائِلَا

(٢) أمر خبر مقدم وفقد السيوف مبتدا مؤخر . والأجفن جمع جفن غمد السيف . يقول : ان الحرب أحب اليه من الغزل والتشبب فاذا فقد سيوفه كان ذلك أشد عليه من فقد أحبته ، ووصف سيوفه بأنها فاقدة لجفونها — اغمادها — لأنها أبدا مستعملة فى الحروب (٣) استكن من الكن أى توارى وخفى . والاحسان الاول مصدر أحسنت الشىء إذا حذقته وعلمته والأحسان الثانى ضد الاساءة وأن لا يحسنا فى موضع نصب لأنه مفعول المصدر الذى هو الاحسان ولو قال ولا احسان ان لا يحسنا كان أقرب إلى الفهم من استعماله بالألف واللام وان كان المعنى سواء فان قولك أعجبنى ضرب زيد أقرب إلى الفهم من قولك أعجبنى الضرب زيدا . يقول : ان الرعب — الخوف والفزع — لا يستكن بين ضلوعه أبدا لانه شجاع لا يخشى مخلوقا ثم قال وهو لا يحسن أن لا يحسن أى لا يعرف ترك الاحسان حتى اذا رام أن لا يحسن لم يعرف ذلك ولم يمكنه ، وهذا من قول الآخر

يُحْسِنُ أَنْ يُحْسِنَ حَتَّى إِذَا رَامَ سِوَى الإِحْسَانِ لَمْ يُحْسِنِ

وقال ابن فورجه الاحسان ضد الاساءة يقول لا يستكن الاحسان حتى يحسن أى لا يثبت حتى يفعله وعلى هذا الاحسان الهم به يقول اذا هم بالاحسان لم يصبر عليه حتى يفعله

مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِى غَدٍ ... فَكَأَنَّ مَاسَيَكُونُ فِيهِ دُوِّنَا(١)

تَتَقَاصَرُ الأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ ... مِثْلَ الَّذِى الأَفْلَاكُ فِيهِ وَالدُّنَا(٢)

مَنْ لَيْسَ مِنْ قَتْلَاهُ مِنْ طُلَقَائِهِ ... مَنْ لَيْسَ مِمَّنْ دَانَ مِمَّنْ حُيِّنَا(٣)

لَمَّا قَفَلْتَ مِنَ السَّوَاحِلِ نَحْوَنَا ... قَفَلَتْ إِلَيْهَا وَحْشَةٌ مِنْ عِنْدِنَا(٤)

أَرِجَ الطَّرِيقُ فَمَرَرْتَ بِمَوْضِعٍ ... إِلَّا أَقَامَ بِهِ الشَّذَا مُسْتَوْطِنَا(٥)

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِى قَابَلْتَهَا ... مَدَّتْ مُحَيِّيَةً إِلَيْكَ الأَغْصُنَا(٦)

---

(١) الاستنباط الاستخراج وأصله من استنباط الماء ونبط الماء نبع وأنبط الحفار بلغ الماء . والضمير من فيه لعلمه . ودون الشيء جمعه فى ديوان أى فى كتاب . يقول : هو من ذكائه وفطنته يعرف بعلمه ما يقع فيما يستقبل فكأن ما سيكون قد كتب فى علمه والمعنى أن علمه صحيفة الكائنات ، ويروى من يومه يعنى أنه يستدل بما فى يومه على ما سيقع فى غد فيعرفه (٢) الدنى جمع دنيا مثل كبر وصغر فى جمع كبرى وصغرى . يقول : ان افهام الناس تتقاصر عن ادراك هذا الممدوح كما تقاصرت عن علم الشيء المحيط بالافلاك وبالارضين فان أحدا لا يعرف ما وراء الافلاك وان العالم إلى ما ينتهى من الاعلى والاسفل . فقوله مثل بالنصب صفه لمصدر محذوف أى تقاصرا مثل تقاصرها عن إدراك الذى الخ ورواها بعضهم مثل بالرفع على أنها خبر مبتدا محذوف أى فهو مثل الذى الخ . هذا وقد قال ابن جنى : لقد أفرط — المتنبى — جدا لأن الذى فيه الافلاك والدنى هو علم الله تعالى وتقدس .

(٣) الطليق الذى أطلق من القتل والجمع طلقاء . ودان خضع وأطاع وحينا بضم الحاء أى أهلك وروى بفتح الحاء على المعلوم أى ممن أهلكه . يقول : من أفلت من سيفه فلم يقتله فهو ممن أطلقه وعفا عنه ومن لم يطعه وليس من أهل طاعته فهو ممن يهلكه ويقتله (٤) قفل رجع . والسواحل بلاد الساحل . يقول : لما غبت عنا عرتنا لك وحشة فلما رجعت الينا ذهبت تلك الوحشة من عندنا إلى المكان الذى انصرفت منه الينا (٥) أرج الطيب يأرج أرجا وأريجا اذا فاح والأرج والأريج توهج ريح الطيب . والشذا شدة الرائحة يقول : طاب الطريق الذى سلكته ففاحت رائحته فما مررت بطريق إلا صارت الرائحة الطيبة مقيمة فيه لا تريم (٦) محيية حال من

سَلَكَتْ تَمَاثِيلَ القِبَابِ الجِنُّ مِنْ ... شَوْقٍ بِهَا فَأَدَرْنَ فِيكَ الأَعْيُنَا (١)

طَرِبَتْ مَرَاكِبُنَا فَخِلْنَا أَنَّهَا ... لَوْلَا حَيَاءُ عَاقِهَا رَقَصَتْ بِنَا (٢)

أَقْبَلْتَ تَبْسِمُ وَالجِيَادُ عَوَابِسٌ ... يَخْبُبْنَ بِالحَلَقِ المُضَاعَفِ وَالقَنَا (٣)

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْيَرًا ... لَوْ تَبْتَغِي عَنَقًا عَلَيْهَا أَمْكَنَا (٤)

فاعل مدت والأغصنا مفعول مدت واليك متعلق بمدت ، وهذا المعنى كثير قال الفرزدق

يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

وقال البحترى

فلو انَّ مشتاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا ... فِى وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ المِنْبَرُ

(١) القباب جمع قبة وهى الخيمة أو البيت المستدير من بيوت العرب. والمراد بالتماثيل الصور المنقوشة على القباب . يقول : ان الصور التى فيها تكاد من صحتها واتقانها كأن أرواح الجن سلكتها — تخللتها — شوقا اليك فأدارت — الصور — أعينها ، قال ابن جنى ما أعلم أنه وصفت صورة بأنها تكاد تنطق باحسن من هذا ، وقال الواحدى : المعنى : اشتاقت الجن اليك فتوارت بتماثيل القباب للنظر اليك وتماثيل القباب هى القباب (٢) المراكب جمع مركب بمعنى مركوب يعنى الخيل يقول : لسرورها بقدومك طربت حتى ظننا أنها لولا الحياء لرقصت بنا ، يعنى أن السرور بقدومك غلب حتى ظهر فى البهيمة التى لا تعقل (٣) قوله تبسم فى موضع الحال أى باسما . والجياد الخيل جمع جواد على غير قياس . والعوابس جمع عابس وهو المكلح الوجه . والخبب ضرب من العدو . والحلق المضاعف الدروع — الحلق جمع حلقة والمضاعف الكثير . والقنا الرماح . يقول : أقبلت ضاحكا وجيادك عوابس لطول سيرها وائفالها بالدروع والقنا الطوال وما قاست من شدة الحروب (٤) السنابك جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر . والعثير الغبار . والعنق ضرب من السير سريع . يقول : عقدت سنابك الخيل فوقها غبارا كثيفا لو تطلب السير عليه لأمكن من كثافته ، وهذا المعنى من قول العتابى

تَبْنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ ... سَقْفًا كَوَاكِبُهُ البِيضُ البَوَاتِيرُ

وَالأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْقُلُوبُ خَوَافِقٌ ... فِى مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَالْمُنَى (١)

فَعَجِبْتُ حَتَّى مَا عَجِبْتُ مِنَ الظُّبَى ... وَرَأَيْتُ حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّنَا (٢)

إِنِّى أَرَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ عَسْكَرًا ... فِى عَسْكَرٍ وَمِنَ الْمَعَالِى مَعْدِنَا (٣)

فَطِنَ الْفُؤَادُ لِمَا أَتَيْتُ عَلَى النَّوَى ... وَلِمَا تَرَكْتُ مَخَافَةً أَنْ تَفْطُنَا (٤)

أَضْحَى فِرَاقُكَ لِى عَلَيْهِ عُقُوبَةً ... لَيْسَ الَّذِى قَاسَيْتُ مِنْهُ هَيِّنَا (٥)

وأخذه العتابى من قول الأول

وَأَرْعَنَ فِيهِ لِلسَّوَابِغِ لُجَّةٌ ... وَسَقْفُ سَمَاءٍ أَنْشَأَتْهُ الْحَوَافِرُ

«الأرعن الجيش والسوابغ الدروع» (١) خوافق مضطربة . والمنية الموت . والمنى جمع منية ما يتمناه الانسان من الخير . يقول: أمرك مطاع والحال ما ذكر — وهو اضطراب القلوب فى الحرب والناس بين خائف يتوقع القتل وبين مؤمل الظفر بالعدو ومقتول قد لقى منيته وقاتل قد أدرك أمنيته (٢) الظبى جمع ظبة حد السيف والمراد السيف نفسه والسنا الضوء. يريد وصف يوم قدومه اذ رأى السيوف والأسلحة مع عسكره . يقول : عجبت من كثرة السيوف فى ذلك اليوم حتى ذهلت فعجزت عن العجب . ورأيت من الضوء وتألق الحديد ما خطف نظرى فرجع وهو حسير فلم أتمكن من الرؤية (٣) يقول : انى أراك عسكرا فى عسكر من المكارم أى أنت فى نفسك عسكر وحولك عسكر آخر من المكارم وأراك معدنا من المعالى أى اصلالها فهى تؤخذ منك (٤) فطن للشىء بكسر الطاء وفتحها يقول : — كما قال الواحدى —: ان قلبك يعرف ما فعلته فى حال بعدك وما تركته فلم أفعله خوفا من أن تعلم فتعاتبنى عليه، أى فلست فى حاجة الى وشاية الواشين وكان قد وشى به اليه ، وكأنه قد اعترف بتقصيره كما يدل على ذلك سياق الأبيات وقال اليازجى: ان فؤادى لم يغفل عما فعلته فى حال بعدك من التقصير فى خدمتك وما أهملته من المسير معك لانى كنت خائفا أن تفطن له فتعاتبنى عليه، يعنى انى لم أغفل عن ذلك التقصير ولو لم يوش به اليك ، فظن أن المراد بالفؤاد فؤاد المتنبى وليس بشى (٥) عليه أى على ما فعلته. والضمير فى منه يعود على الفراق يقول : صار فراقك عقوبة لى على ما فعلته مما كرهته : أى فحسبى هذا عقوبة

فاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَاحْبُنِي مِنْ بَعْدِهَا ... لِتَخُصَّنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا (١)

وَانْهَ الْمُشِيرَ عَلَيْكَ فِيَّ بِضَلَّةٍ ... فَالْحُرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الزِّنَا (٢)

وَإِذَا الْفَتَى طَرَحَ الْكَلَامَ مُعَرِّضًا ... فِي مَجْلِسٍ أَخَذَ الْكَلَامَ اللَّذْعَنَا (٣)

وَمَكَايِدُ السُّفَهَاءِ وَاقِعَةٌ بِهِمْ ... وَعَدَاوَةُ الشُّعَرَاءِ بِئْسَ الْمُقْتَنَى (٤)

لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ اللَّئِيمِ فَإِنَّهَا ... ضَيْفٌ يَجُرُّ مِنَ النَّدَامَةِ ضَيْفَنَا (٥)

(١) فاغفر أى فاغفر لى أى ذنبى أو تقصيرى . وفدى أى أنا فدى لك. وحباه أعطاه. والحباء بكسر الحاء العطاء . يقول : فاغفر لى هذا الذنب الذى فرط منى فدى لك نفسى واعطنى بعد المغفرة لأكون مخصوصا بعطية منها نفسى ، يعنى اذا عفوت عنى وأعطيتنى كنت قد خصصتنى بعطاء أنا من جملته ، لأنه اذا عفا عنه فقد وهبه نفسه

(٢) الضلة الضلال قال الواحدى : كان الاعور ابن كروس قد وشى به الى بدر ابن عمار لما سار وتأخر عنه المتنبى . يقول : أشار عليك بهجرانى وحرمانى وهذا ضلال لانى لا أستحق ذلك وقال ابن جنى ضلة أى اذا قبلت منه ما أشار به عليك واطعته فى ضلالت يهدده بالهجاء وعنى بالحر نفسه وبأولاد الزنا الوشاة . وهذا تعريض بابن كروس هذا ،والاصل فى هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة

ما ضَرَّنِي حَسَدُ اللِّئَامِ ولَمْ يَزَلْ ... ذو الفضْلِ يَحسُدُهُ ذَوُو التَقْصِيرِ

وقال أبو تمام

لَقَدْ آسَفَ الأَعْدَاءَ مَجْدُ بْنِ يوسُفٍ ... وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الفضلِ مُولَعُ

(٣) اللذ عنا يريد الذى عناه يعنى أنه عرض بذكر أولاد الزنا وقد فهم هذا التعريض من عناه به فهو يأخذه لنفسه (٤) السفيه الذى لا عقل له ولا رأى وأصله الذى لا يعرف أن يدبر أمره والاصل فيه الخفة وتسفهت الريح الشجر مالت به وتسفهت فلانا عن ماله اذا خدعته عنه وعنى بالسفهاء السعاة والوشاة الذين وشوا به يقول : كيدهم يعود عليهم بالشر ، ثم قال واذا عودى الشاعر ألحق بعرض عدوه ما يبقى لاصقا به بقاء الدهر ، وهذا تهديد بالهجاء (٥) الضيفن الذى يتبع الضيف ونونه زائدة وهو فعلن اذا أخذ من الضيافة وان أخذ من الضفن — وهو الثقيل الكثير اللحم — فوزنه فيعل يقول : إن مخالطة اللئيم مذمومة ملعونة لما تجر وراءها من الندامة فهى كضيف يليه ضيف من الندامة

غَضَبُ الحَسُودِ إِذَا لَقِيتُكَ رَاضِيًا ... رُزْءٌ أَخَفُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يُوزَنَا (١)

أَمْسَى الَّذِي أَمْسَى بِرَبِّكَ كَافِرًا ... مِنْ غَيْرِنَا مَعَنَا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنَا (٢)

خَلَتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا ... فَأَعَاضَهَاكَ اللهُ كَيْ لَا تَحْزَنَا (٣)

وقال وقد سأله الجلوس

يَا بَدْرُ إِنَّكَ وَالْحَدِيثُ شُجُونُ ... مَنْ لَمْ يَكُنْ لِمِثَالِهِ تَكْوِينُ (٤)

لَعَظُمْتَ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمَانَةً ... مَا كَانَ مُؤْتَمَنًا بِهَا جِبْرِينُ (٥)

والأصل فى هذا ما جاء فى بعض الآثار : الجليس السوء كصاحب الكير — أى الحداد — ان لم يصبك من شرره أصابك من دخانه، والجليس الصالح كالدارى — يعنى العطار — ان لم يصبك طيبه أصابك من ريحه (١) الرزء المصيبة . يقول : اذا كنت راضيا عنى لم أكترث بعد ذلك لغضب الحسود لأنه يكون فى هذه الحالة من أهون الأرزاء على فهو رزء لو كان مما يوزن لم يستحق أن يوزن لخفته (٢) من غيرنا حال من اسم أمسى الثانية ومعنا متعلق بمؤمنا ومؤمنا خبر أمسى الأولى . يقول : من كان يكفر بالله من غيرنا أمسى مؤمنا معنا بفضلك ، أى أن من يخالفنا فى الأيمان بالله يوافقنا فى الاقرار بفضلك (٣) الغزالة اسم الشمس . يقول : جعلك الله عوضا من الشمس للبلاد وأهلها عند فقد الشمس بالليل كيلا يحزنوا ، هذا وقد قال ابن جنى : ان سيبويه لا يجيز تقديم ضمير الغائب المتصل على الحاضر فى مثل قولك ما فعل الرجل الذى اعطاهك زيد على معنى الذى أعطاه إياك فتأتى بالضمير المنفصل وتدع المتصل وأبو العباس يجيزه فالصواب عند سيبويه فأعاضها إياك ولكن الشعر موقف ضرورة فيجوز فيه مالا يجوز فى غيره ، قال العكبرى والصواب عند أهل النحو اذا اجتمع ضميرا المخاطب والغائب فالواجب تقديم ضمير المخاطب فكان الواجب فأعاضكها الله . ويقال عاضه وأعاضه وعوضه (٤) قوله والحديث شجون جملة معترضة بين اسم ان وخبرها وقولهم الحديث شجون مثل معناه الحديث ذو شجون أى ذو فنون وطرائق مشتبكة مختلطة . يقول : انك الرجل الذى لم يكوّن الله مثله ولم يخلقه ، قال الواحدى وأشار بقوله والحديث شجون إلى أن تحت قوله من لم يكن لمثاله تكوين معانى كثيرة لا تحصى

(٥) اللام فى لعظمت رابطة لقسم مضمر على تقدير قد بعدها أى لقد عظمت :

بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيَا فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلُّ فَوْقٍ دُونُ (١)

وقال يمدح أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي وهو يومئذ يتقلّد القضاء بأنطاكية

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ (٢)

وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٍّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (٣)

وجبرين لغة فى جبريل كما يقال فى اسماعيل اسمعين وفى اسرائيل اسرئين يقول . لو كنت أمانة لكانت هذه الأمانة عظيمة حتى لا يؤتمن بتأديتها جبريل الامين على وحى الله وكتبه إلى أنبيائه ، قال الواحدى : وهذا افراط وتجاوز حد يدل على قلة دين وسخافة عقل

(١) البرية الخلق وخاليا حال . وقد أجرى فوق ودون مجرى الاسماء فاعربهما إعرابها . يقول : اذا خلا الناس منك تباينوا وكانوا درجات يعلو بعضها بعضا فاذا حضرت بينهم استووا كلهم فى التقصير عنك وصار أشرفهم وأعلاهم دونك

(٢) الأغراض جمع غرض وهو الهدف الذى يرمى . يقول : ان الافاضل من الناس كالاغراض للزمان يرميهم بنوائبه ويقصدهم بالمحن فلا يزالون محزونين وانما يخلو من الحزن من كان خاليا من الفطنة ، وحاصل المعنى أن الزمان انما يقصد بشره الافضل قال حكيم : على قدر الهمم تكون الهموم ، وذلك ان العاقل يفكر فى عواقب الامور فلا يزال مهموما وأما الجاهل فلا يفكر فى شىء من هذا . وفى هذا المعنى يقول الجاهلى ذو الاصبع العدوانى

أَطَافَ بِنَا رَيْبُ الزَّمَانِ فَدَاسَنَا لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بَصِيرُ

ويقول البحترى

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ

(٣) الجبل ضرب من الناس . وسواسية يعنى متساوين فى الشر واللؤم ولا يقال فى الخير . والمراد بالحر هنا الكريم — ضد اللئيم — يقول : نحن فى جيل من الناس قد تساووا فى الشر دون الخير فليس فيهم من يركن اليه ويعول عليه

حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمُ خَلَقٌ تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ (١)

لَا أَقْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَلَا أَمُرُّ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَغِنِ (٢)

وَلَا أُعَاشِرُ مِنْ أَمْلَاكِهِمْ أَحَدًا إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثَنِ (٣)

إِنِّي لَأَعْذِرُهُمْ مِمَّا أُعَنِّفُهُمْ حَتَّى أُعَنِّفَ نَفْسِي فِيهِمِ وَأَنِي (٤)

فَقْرُ الْجَهُولِ بِلَا عَقْلٍ إِلَى أَدَبٍ فَقْرُ الْحِمَارِ بِلَا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ (٥)

(١) خلق جمع خلقة وهى الصورة والمراد بالخلق هنا الاشخاص . ويروى حلق بالحاء جمع حلقة وهى القوم يجتمعون مستديرين . وهو معلوم أن من يستفهم بها عمن يعقل وما عما لا يعقل تقول للجماعة من الناس من أنتم وتقول ما هذه القطعة أغنم هى أم أبل أم خيل . يقول : حولى من هؤلاء الناس جماعة كالبهائم اذا أردت الاستفهام عنهم فقل ما أنتم ولا تقل من أنتم وإلا عدوت الصواب

(٢) تقول قروت البلاد واستقريتها واقتريتها اذا تتبعتها تخرج من بلد إلى بلد . والغرر الاسم من قولهم غرر بنفسه اذا عرضها للهلكة . ومضطغن ذو ضغن وحقد . يقول : لا أسافر إلا على خطر وخوف على نفسى من الحساد والأعداء ، ولا أمر بأحد لا يكون له على حقد ، يعنى أنهم جهال اعداء لذوى الفضل والعلم فلجهلهم وفضلى يعادوننى

(٣) الأملاك جمع ملك كجمل واجمال . والوثن الصنم . يقول : لا أخالط أحدا من ملوكهم إلا وهو يستحق القل مثله مثل الصنم الذى لا يستحق إلا أن يحطم ويفصل بين رأسه وبدنه حتى لا يبقى على خلقة الانسان ، ويجوز أن يكون ضرب الرأس كناية عن الاهانة والاذلال يقول هو أحق بالاذلال من الصنم وانما خص الصنم لانه أراد انهم — أى الملوك — صور لا معنى وراءها كالاصنام التى يفتن بها أقوام يعبدونها وهى تماثيل لا معنى وراءها (٤) التعنيف التعنيف واللوم . وانى بمعنى اقتر قال تعالى ولا تنانيا فى ذكرى ومنه الانانة من النساء وهى التى فيها فتور عند القيام وتأن يقول : انى اجعل لهم عذرا فيما ألومهم به من الغفلة واللؤم حتى أعود على نفسى باللوم وأنى — اقصر — فى لومهم ، أما عذرهم فهو أنهم جهال والجاهل لا يلام على ترك المكارم والرغبة عن المعالى ، وقد بين هذا فى البيت التالى (٥) الجهول الكثير الجهل — والجهل ضد العقل — والرسن الحبل الذى تقاد به الدابة . يقول : ان الجاهل لا يفتقر إلى الأدب اذ لا عقل له وأول ما يحتاج اليه الانسان العقل الذى به يعقل ثم يتأدب بعد ذلك فاذا لم يكن عاقلا لم يحتج إلى أدب كالحمار ما لم يكن له رأس لم يحتج إلى الرسن . . .

وَمُدْقِعِينَ بِسُبْرُوتٍ صَحِبْتُهُمُ عَارِينَ مِنْ حُلَلٍ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ (١)

خُرَّابِ بَادِيَةٍ غَرْثَى بُطُونُهُمُ مَكْنُ الضِّبَابِ لَهُمْ زَادٌ بِلَا ثَمَنِ (٢)

يَسْتَخْبِرُونَ فَلَا أُعْطِيهِمُ خَبَرِي وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظُّنَنِ (٣)

وَخَلَّةٍ فِي جَلِيسٍ أَتَّقِيهِ بِهَا كَيْمَا يُرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الوَهَنِ (٤)

وَكِلْمَةٍ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أُعْرِبُهَا فَيُهْتَدَى لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ (٥)

(١) الواو من ومدقعين واو رب والمدقع الذى لا شىء له من دَقِع — بالكسر — اذا لصق بالتراب والدقعاء التراب وفيه معنى الخضوع . والسبروت الأرض لا نبت بها . والحلل جمع حلة . والدرن الوسخ والقذر . يقول : رب قوم صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب عارين من الثياب كاسين من الوسخ والقذر صحبتهم

(٢) خراب جمع خارب وهو الذى يسرق الابل خاصة ثم سمى به كل لص . وغرثى جمع غرثان وهو الجوعان . ومكن الضباب بيضها جمع مكنة والضباب جمع ضب الدويبة المعروفة يقول : هم لصوص سراق فلوات ليس لهم زاد ومن جوعهم يأكلون بيض الضباب يحصلون عليه بلا ثمن (٣) طاش السهم خرج عن صوب الرمية ولم يصب . والظنن جمع ظنة وهى ما تظنه بالانسان من سوء يقول : يسألونى عن خبرى فلا أخبرهم وأكتمهم أمرى وهم لا تخطىء ظنونهم بأنى أنا المتنبى الذى سمعوا به ولكنى أكتم خبرى عنهم خوفا من غائلتهم (٤) أتقيه رواها بعضهم ألتقيه . والخلة الخصلة المحمودة والمذمومة . ويرى يظن . والوهن الضعف . يقول : رب خصلة فى جليس لى استقبله بمثلها من نفسى أى أتخلق بمثلها حتى يظنى مثله في ضعف الرأى كما قال الآخر

أُحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لكُنْتُ أعَاقِلُهْ

يريد — المتنبى — أنه يخفى نفسه وفضله خوفا من الحسد

(٥) خفت أعربها أى خفت أن أعربها وأصل الاعراب التبيين ومنه الأثر : والثيب تعرب عن نفسها . وأصل معنى اللحن العدول عن الظاهر اما خطأ وإما الغازا وفطنة . ويسمى الفطن لحنا ومنه الحديث ولعل بعضكم ألحن بحجته أى أفطن لها . يقول : رب كلام أردت ترك الاعراب فيه لئلا يهتدي الى ولا يطلع على اننى المتنبى فلم أقدر على ذلك ، يريد أنه مطبوع على الفصاحة لا يقدر أن يحيد عنها الى اللحن

قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِى كُلَّ نَازِلَةٍ وَلَيَّنَ الْعَزْمُ حَدَّ الرَّكْبِ الْخَشِنِ (١)

كَمْ مَخْلَصٍ وعُلًا فى خَوْضِ مَهْلَكَةٍ وَقِتْلَةٍ قُرِنَتْ بِالذَّمِّ فى الْجُبُنِ (٢)

لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسْنُ بِزَّتِهِ وَهَلْ يَرُوقُ دَفِيناً جَوْدَةُ الْكَفَنِ (٣)

لِلّٰهِ حَالٌ أُرَجِّيهَا وَتُخْلِفُنِى وَأَقْتَضِى كَوْنَهَا دَهْرِى وَيَمْطُلُنِى (٤)

مَدَحْتُ قَوْماً وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ قَصَائِداً مِنْ إِنَاثِ الْخَيْلِ وَالْحُصُنِ (٥)

---

(١) النازلة الحادثة من حوادث الدهر تنزل بالانسان . ومراده بالمركب الخشن ما يركبه من الامور الشاقة : يقول : صبرى جعل كل حادثة تلم بساحتى سهلة هينة ، وعزمى ألان المركب الخشن . يريد لا أشتكى النوازل بل اصبر عليها ولا استخشن الخطوب الصعبة لقوة عزمى اذا عزمت (٢) العلى جمع العلياء وهى فى الأصل اسم للمكان العالى ثم استعملت بمعنى الرفعة والشرف . والقتلة المرة من القتل . يقول : كم من خلاص وعلو لمن خاض المهالك ، وكم من قتل مع الذم للجبان ، يعنى انه كثيرا ما يتخاص خائض المهالك المقدم عليها مع ما يكسب من الرفعة ، وكثيرا ما يقتل الجبان المحجم مع ما يلحقه من المذمة والعار

(٣) المضيم المظلوم . والبزة اللباس . وراقه الشىء أعجبه . والدفين المدفون ، وأراد بحسن البزة اليسر وسعة الرزق . يقول : لا ينبغى للمظلوم أن يسر بسعة رزقه التى من آثارها حسن البزة مع ماهو فيه من الذل فانه مثل الميت الذى دفن والميت لا يسر بحسن كفنه ، شبه المظلوم الذى لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت وجعل ثوبه الحسن كالكفن

(٤) يقال عند التعجب من شىء لله هو . والأخلاف ضد الانجاز . وأقتضى كونها دهرى أى أطالب دهري بحصولها . ومطله حقه سوفه ولم يقضه . يقول : انه يرجى أن يصل الى حال ترضيه وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل اليها ، ويطالب دهره بحصولها فيماطله فى تبليغه اياها ، وعبارة الواحدى : المعنى ههنا أن القادر على تمكينى من هذه الحال — التى أرجو بلوغها وهى تخلفنى أى لا تصل الى ولا تنجز عدتى — وعدى — واسأل دهرى كونها — حصولها — وهو يمطلنى — هو الله تعالى

(٥) الحصن جمع حصان وهو الذكر الفحل من الخيل . يقول : مدحت قوما لا يستحقون المدح — لشحهم وجهلهم — ولكن ان عشت غزوتهم بخيل اناث وذكور ، جعل الخيل قصائد بدل القصائد التى مدحهم بها

تَحْتَ الْعَجَاجِ قَوَافِيهَا مُضَمَّرَةً ... إِذَا تُنُوشِدْنَ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أُذُنِ (١)

فَلَا أُحَارِبُ مَدْفُوعاً إِلَى جُدُرٍ ... وَلَا أُصَالِحُ مَغْرُوراً عَلَى دَخَنِ (٢)

مُخَيِّمُ الْجَمْعِ بِالْبَيْدَاءِ يَصْهَرُهُ ... حَرُّ الْهَوَاجِرِ فِي صُمٍّ مِنَ الْفِتَنِ (٣)

أَلْقَى الْكِرَامُ الْأُلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ ... عَلَى الْخَصِيبِيِّ عِنْدَ الْفَرْضِ وَالسُّنَنِ (٤)

فَهُنَّ فِي الْحَجْرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ ... لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بِالْمَجْدِ وَالْمِنَنِ (٥)

---

(١) تحت العجاج خبر مقدم وقوافيها مبتدا مؤخر ومضمرة حال . والعجاج الغبار . والمضمرة من الخيل المعدة للسباق يقول : قوافي هذه القصائد خيل مضمرة تحت العجاج وليست من القوافي التي اذا انشدت دخلت الآذان ؛ قال العكبري : وصفها بالتضمير وهو مدح للخيل وكذلك القوافي في الشعر اذا جادت جاد الشعر قال ابن الاعرابي استجيدوا القوافي فانها حوافر الشعر (٢) مدفوعا حال وكذلك مغرورا . والجدر جمع جدار وهو الحائط . والدخن الفساد والغش والعداوة في القلب ومنه الحديث هدنة على دخن ومثله الدخل . يقول : لست ممن يعتصم في الحرب بالأبنية والجدر ولا اصالح أعدائي اذا أغروني ونافقوني ، أي لا أصالحهم الا على بذل الرضا ، ومدفوعا رواه ابن جني مرفوعا أي يرفع الى الجدر فيحارب عليها (٣) مخيم الجمع أنا مخيم الجمع أي الجيش . والبيداء الصحراء . وصهرت الشمس دماغه أذابته . والهواجر جمع هاجرة وهي منتصف النهار . والصم الشداد . يقول : ان عساكره قد نصبوا خيامهم في الصحراء يذيبهم حر الهواجر في فتن صم — شديدة — قال الواحدي : ويجوز أن تقول في فتن لا يهتدى فيها كالحية الصماء التي لا تجيب الراقي (٤) الألى الذين . وبادوا هلكوا . والخصيبي هو الممدوح نسبة إلى جده . يقول : إن الكرام الذين بادوا ألقوا مكارمهم على هذا الممدح أي ورثوه إياها فهي عنده بجانب فروض الدين وسنته يحافظ عليها كما يحافظ على هذه . وعبارة الواحدي فهو يستعملها — أي المكارم — عند مايلزمه كالفريضة وعند مالايلزمه كالسنة فصارت مكارم الكرام عنده تحت تصرفه (٥) الحجر في الأصل المنع وحجر القاضي على فلان منعه من التصرف وفلان في حجر فلان أي في كنفه . وبدا ملين من المهموز أي بدأ . والمنن جمع منة وهي النعمة . يقول : لما ورث المكارم بعد هلاك ذويها جعلها في حجره يربيها ويكفلها في جملة اليتامى الذين يكفلهم فكان كلما عرضت له اليتامى

قَاضٍ إِذَا الْتَبَسَ الْأَمْرَانِ عَنَّ لَهُ رَأْيٌ يُخَالِصُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ (١)

غَضُّ الشَّبَابِ بَعِيدٌ فَجْرُ لَيْلَتِهِ مُجَانِبُ الْعَيْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَالْوَسَنِ (٢)

شَرَابُهُ النَّشْحُ لَا لِلرِّيِّ يَطْلُبُهُ وَطَعْمُهُ لِقِوَامِ الْجِسْمِ لَا السِّمَنِ (٣)

بدا بالمجد والمتن — التى هى من جملة المكارم المكفولة عنده — فأقاضها عليهم ، قال الواحدى . وانما ذكر اليتامى لأنه يمدح قاضيا والقضاة يتكفلون أمر الأيتام ، وذهب ابن فورجه فى معنى هذا البيت والذى قبله مذهبا غير الذى ذكرنا قال . يعنى أن المكارم قل راغبوها وكان لها من الكرام آباء فلما هلكوا كفلوها هذا الممدوح لأنه قاض والقضاة تكفل اليتامى فجعلوه كفيلها فهو يربيها مع سائر الأيتام غير أنه يؤثر المكارم بحسن التربية على سائر الايتام وهذا معنى قوله كما عرضت له اليتامى بدا بالمجد والمتن أراد بدأ بالمكارم فأقام المجد والمتن مقامها لأنهما فى معناها

(١) عنّ ظهر . يقول: هو قاض ذكى فطن ألمعى اذا التبس الأمران واختلطا واشتبها ظهر له رأى يفصل بين مالا يمكن الفصل بينهما نحو الماء واللبن اذا امتزجا . . .

(٢) شباب غض أى ناضر . والوسن النوم . قال الواحدى قوله بعيد فجر ليلته فيه وجهان أحدهما أن ليلته طويلة لسهره فيما يكسبه من الدين والعلم وليس هو ممن يقصر ليلته باللذات . والثانى أنه أراد بالفجر بياض الشيب وبالليل سواد الشباب والمعنى أن بياض الشيب بعيد عنه لأنه شاب غض الشباب ، وقوله مجانب العين للفحشاء والوسن أى أن عينه بعيدة عن النظر إلى مالا يحل وعن النوم أيضا لطول سهره (٣) نشح الشارب نشحا اذا شرب شربا قليلا دون الرى (*) قال ذو الرمة يصف الوحش

فَانْصَاعَتِ الْحُقْبُ لَمْ تَقْضَعْ صَرَائِرَهَا وَقَدْ نَشَحْنَ فَلَا رِيٌّ وَلَا هِيَمُ

« قضع العطشان غلته بالماء إذا سكنها والصرائر جمع صارة أى العطش وهو — هذا الجمع — نادر » والطعم الطعام . يقول: لا ينال من الطعام والشراب الا القدر الذى يقيم به جسمه وليس يشرب للرى ولا يأكل للسمن شأنه فى ذلك شأن الحكماء الزهاد ، قال حكيم : الناس يحبون الحياة ليأكلوا وأنا آكل لأحيا

(*) أول الشرب النشح ثم التغمير ثم الرى ثم النقع والتحبيب ثم اليغر وهو عطش يأخذ الأبل فتشرب فلا تروى وتمرض وتموت

أَلْقَائِلُ الصِّدْقَ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ وَالْوَاحِدُ الْحَالَتَيْنِ السِّرَّ وَالْعَلَنِ (١)

أَلْفَاصِلُ الْحُكْمَ عَيَّ الأَوَّلُونَ بِهِ وَالْمُظْهِرُ الْحَقَّ لِلسَّاهِي عَلَى الذَّهَنِ (٢)

أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا جَدِّي الْخَصِيبُ عَرَفْنَ الْعِرْقَ بِالْغُصُنِ (٣)

الْعَارِضُ الْهَتِنُ ابْنُ الْعَارِضِ الْهَتِنِ ابْـ

ـنِ الْعَارِضِ الْهَتِنِ ابْنِ الْعَارِضِ الْهَتِنِ (٤)

قَدْ صَيَّرَتْ أَوَّلَ الدُّنْيَا وَآخِرَهَا آبَاؤُهُ مِنْ مُغَارِ الْعِلْمِ فِي قَرَنِ (٥)

---

(١) لك أن تنصب الصدق على المفعولية وأن تجره على الأضافة تشبيها بالحسن الوجه والضمير من فيه للصدق . والسر مايسره الأنسان والعلن ضده . يقول : هو يقول الحق والصدق وان كان فيه ضرر عليه، ولا يضمر خلاف ما يظهر رثاء الناس وانما سره وعلنه سواء (٢) عى بالأمر إذا عجز عنه . والساهى الغافل . والذهن الفطن الذكى . يقول : هو يفصل برأيه وعلمه الحكم الذى عجز عنه السابقون، ويظهر حق الخصم الغبى على الخصم الذكى (٣) يقول : ان أفعاله الكريمة تدل على كرم أصله وتقوم له مقام النسب حتى لو لم يقل جدى فلان لكانت أفعاله كافية فى الدلالة عليه كما يستدل بالغصن على الأصل ، وهذا المعنى من قول بعضهم

وَإِذَا جَهِلْتَ مِنِ امْرِئٍ أَعْرَاقَهُ وَأُصُولَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ

ومثله قول ابى تمام

فُرُوعٌ لا تَرِفُّ عَلَيْكَ إِلَّا شَهِدْتَ بِهَا عَلَى طِيبِ الْأُرُومِ

« رف النبات اهتز نضارة . والأروم بفتح الهمزة الأصل وبضم الهمزة جمع »

(٤) العارض السحاب المعترض فى الأفق . والهتن الكثير الصب مثل الهطل يقول : هو جواد ابن آباء أجواد (٥) المغار الجبل المحكم الفتل . والقرن الحبل يقرن به البعيران . ومن مغار فى موضع حال من قرن مقدمة وفى قرن فى موضع المفعول الثانى لصيرت. يمدحهم بكثرة التجارب والعلم بالدنيا يقول: ان آباءه قد أحاطوا علما بأحوال الدنيا من أولها إلى آخرها ، وقال ابن جنى : هذا مثل ضربه يريد أنهم ضبطوا العلم وقيدوا به الاحكام والشرائع ، فيكون تقدير أول الدنيا أول أحكام الدنيا أى الأحكام

كَأَنَّهُمْ وُلِدُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ وُلِدُوا أَوْ كَانَ فَهْمُهُمُ أَيَّامَ لَمْ يَكُنِ (١)
الْخَاطِرِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَبَدًا مِنَ الْمَحَامِدِ فِي أَوْقَى مِنَ الْجُنَنِ (٢)
لِلنَّاظِرِينَ إِلَى إِقْبَالِهِ فَرَحٌ يُزِيلُ مَا بِجِبَاهِ الْقَوْمِ مِنْ غَضَنِ (٣)
كَأَنَّ مَالَ ابْنِ عَبْدِ اللهِ مُغْتَرَفٌ مِنْ رَاحَتَيْهِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْيَمَنِ (٤)
لَمْ نَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنٍ سِوَى لَثَقٍ
وَلَا مِنَ الْبَحْرِ غَيْرَ الرِّيحِ وَالسُّفُنِ (٥)
وَلَا مِنَ اللَّيْثِ إِلَّا قُبْحَ مَنْظَرِهِ وَمِنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ (٦)

التى تكون فى الدنيا وتجرى فيها والمعنى ان آباءه كانوا علماء ، وقال ابن فورجه مدحهم برواية الحديث يعني انهم ضابطون للأيام عارفون بالاخبار ، وما ذكرناه أولا هو الاظهر يدل عليه البيت التالى (١) يقول : لعلمهم بالأمور وأحوال الدنيا كأنهم قد شاهدوا أولها فكانوا — وجدوا — قبل أن كانوا ، لأنهم اذا علموا أحوال الماضين فكأنهم كانوا معهم فى عصرهم . وكأن فهمهم كان موجودا فى الأيام التى لم يكن فيها موجودا لأنهم فهموا ما كان فى تلك الأيام (٢) يقال خطر الرجل يخطر إذا مشى متبخترا . والجنن جمع جنة وهى كل ما استترت به من سلاح ونحوه يقول : يمرون على أعدائهم متبخترين وعليهم من المحامد مايقى أعراضهم من الذم أكثر مما يقى السلاح (٣) الغضن تكسر الجلد . يقول : انه يقبل على الزائرين اقبالا يفرحون به فيزول حزنهم وتنبسط وجوههم ، والمسرور يكون بشا طلقا والمحزون يكون متزوى جلدة الوجه (٤) يقول : ان عطاياه عمت القريب والبعيد فهى تسافر وتصل إلى من نأى عنه فكأنها تؤخذ من راحتيه فى أرض الروم واليمن كما تؤخذ فى داره ، والحاصل أن ماله يقرب من القاصى قربه من الدانى (٥) المزن جمع مزنة السحابة البيضاء أوذات الماء . واللثق الوحل الذى يصير من أثر الماء بعد امتزاجه بالتراب يقول : لم نفقد بوجودك من السحاب سوى الوحل الذى يكون من مائه ولا من البحر غير ركوب السفن والتعرض لعواصف الرياح ، يعنى أن الممدوح سحاب وبحر ولكن نفعه خالص لا يشوبه مايكدره

(٦) يقول : ولم نفقد بوجودك من الأسد إلا قبح منظره ولا من كل شىء آخر إلا كل ما كان غير حسن ، يعنى أن جميع محاسن الدنيا مجتمعة فيك وجميع المقابح منفية عنك

مُنْذُ احْتَبَيْتَ بِأَنْطَاكِيَّةَ اعْتَدَلَتْ ... حَتَّى كَأَنَّ ذَوِي الأَوْتَارِ فِي هُدُنِ (١)

وَمُذْ مَرَرْتَ عَلَى أَطْوَادِهَا قَرِعَتْ ... مِنَ السُّجُودِ فَلَا نَبْتٌ عَلَى الْقُنَنِ (٢)

أَخْلَتْ مَوَاهِبُكَ الأَسْوَاقَ مِنْ صَنَعٍ ... أَغْنَى نَدَاكَ عَنِ الأَعْمَالِ وَالْمِهَنِ (٣)

ذَا جُودُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دَهْرٍ عَلَى ثِقَةٍ ... وَزُهْدُ مَنْ لَيْسَ فِي دُنْيَاهُ فِي وَطَنِ (٤)

وَهَذِهِ هَيْبَةٌ لَمْ يُؤْتَهَا بَشَرٌ ... وَذَا اقْتِدَارُ لِسَانٍ لَيْسَ فِي الْمُنَنِ (٥)

فَمُرْ وَأَوْمِ تُطَعْ قُدِّسْتَ مِنْ جَبَلٍ ... تَبَارَكَ اللهُ مُجْرِي الرُّوحِ فِي حَضَنِ (٦)

---

(١) الاحتباء أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته أو بحمائل سيفه أو نحو ذلك وقد يحتبي بيديه . والأوتار جمع وتر وهو الثأر . والهدن جمع هدنة وهي السكون بين المتحاربين . يقول : منذ جلست محتبيا للحكم بهذه البلدة استوى أمرها واستقام حتى كأن أصحاب الاحقاد قد تصالحوا وتهادنوا فزال الشر والظلم والخلاف بينهم وذلك بعدلك وحسن سيرتك فيهم (٢) الأطواد جمع طود . وهو الجبل . وقرعت من قرع الرأس وهو ذهاب شعره . والقنن جمع قنة وهي أعلى موضع فى الجبل يقول : لما مررت على الجبال عرفت أنك فوقها وأعلى منها وأرجح حلما — مع بعدها من التمييز — فخضعت هيبة لك، وجعل الخضوع سجودا لما بينهما من الملابسة، وبالغ فى السجود حتى جعله يتعدى الجبين إلى الرأس وأنه يتوالى حتى يذهب ماعليها من النبت فصارت قرعاء

(٣) الصنع الصانع الحاذق . والمهن جمع مهنة وهى الخدمة والتبذل فى التصرف . يقول : خلت الأسواق من الصناع حتى عطلوها استغناء بعطائك عما كانوا يعملون ، يعنى أن مواهبك قد فشت بين الناس وعمت حتى أصاب أهل الأسواق منها ما استغنوا به عن العمل واستغنى به الفقير عن خدمة الناس (٤) يقول : هذا الجود الذى نشاهده منك جود من لا يأمن الدهر ويعلم أن المال للحادثات فهو يجود به ليحوز به الحمد والاجر ، وزهدك هذا زهد من علم أن الدنيا دار قلعة ومحل نقلة ودار فناء فلا يشتغل بعمارتها وجمع المال لها (٥) هيبة تروى همة . والمنن جمع منة بضم الميم وهى القوة . يقول : لك هيبة وعظمة فى قلوب الناس لم يؤتها أحد ، ولك قوة منطق ليس هناك مثلها (٦) أوم أصلها أومىء حذفت الهمزة وتروى وأومىء ويصح بها الوزن . وحضن

وقال يمدح أبا سهل سعيد بن عبد الله بن عبيد الله
ابن الحسن الأنطاكي

قَدْ عَلِمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَى وَأَلَّفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا(١)
أَمَلْتُ سَاعَةَ سَارُوا كَشْفَ مِعْصَمِهَا
لِيَلْبَثَ الْحَيُّ دُونَ السَّيْرِ حَيْرَانَا(٢)
وَلَوْ بَدَتْ لَأَتَاهَتْهُمْ فَحَجَّبَهَا صَوْنٌ عُقُولَهُمْ مِنْ لَحْظِهَا صَانَا(٣)
بِالْوَاخِدَاتِ وَحَادِيهَا وَبِي قَمَرٌ يَظَلُّ مِنْ وَخْدِهَا فِي الْخِدْرِ خَشْيَانَا(٤)

جبل بنجد ومنه المثل أنجد من رأى حضنا يقال للذى يبلغ حاجته وان كان فى غير بلاد نجد ولا قريبا منها. يقول: مر من شئت وأومئ لأشر فانك مطاع. وجعله كجبل ذى روح فى ثباته ووقاره ورزانته (١) البين البعد والفراق . ومنا حال من الأجفان مقدمة عليها وتدمى صفة لأجفانا كأنه قال أجفانا دامية ، وقال التبريزى أراد أن تدمى فحذف أن يقول : ان فراق الاحبة علم أجفاننا الدامية من طول البكاء الفراق فاتلتقى سهرا كما قال

وفرّق الهجرُ بين الجفن والوسن

وجعل الفراق يؤلف الحزن اغرابا فى الصنعة ، ومثل هذا

تصارمت الأجفانُ لمّا صرمْتنى فما تلتقى الاّ على عبرةٍ تجرى

(٢) المعصم موضع السوار . ويلبث يقيم. والحى القوم النازلون والظاعنون . يقول: رجوت وتمنيت عند رحيل الأحبة أن تكشف معصمها أى تظهره عند ركوب الهودج ليراه القوم فيقفوا متحيرين عن المسير فأتزود من اقامتها (٣) تاه يتيه ويتوه ضل وتحير وأتاهه غيره أضله وحيره . والصون الحفظ وعقولهم مفعول صان يقول : لو ظهرت هذه المحبوبة لهم لحيرتهم بجمال طلعتها ولكن حجبها عنهم صون صان عقولهم عن لحظها، يعنى أنها صانت نفسها عن البروز والظهور وذلك الصون صان عقولهم عن لحظها ، ولحظ مصدر يجوز أن يكون مضافا الى الفاعل ويجوز أن يكون مضافا الى المفعول أى لو لحظوها لطارت عقولهم أو لحظتهم لأخذت عقولهم (٤) الواخدات المسرعات يريد الابل وأصل الوخد للنعام واستعمل فى سير الابل وخد البعير يخدو وخدا ووخدانا

أَمَّا الثِّيَابُ فَتَعْرَى مِنْ مَحَاسِنِهِ ... إِذَا نَضَاهَا وَيَكْسَى الْحُسْنَ عُرْيَانَا(١)

يَضُمُّهُ الْمِسْكُ ضَمَّ الْمُسْتَهَامِ بِهِ ... حَتَّى يَصِيرَ عَلَى الْأَعْكَانِ أَعْكَانَا(٢)

قَدْ كُنْتُ أُشْفِقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصَرِي

فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا(٣)

وهو أن يرمى بقوائمه مثل مشى النعام . والحادى الذى يسوق الابل بالغناء . والخدر خدر المرأة ما يكنها ويسترها . وخشيانا خائفا يقول: يفدي بالابل الواخدة ــ المسرعة ــ في السفر ومحاديها ونفسى فريظل في خدره خائفا مذعورا من سرعة سير الابل وهزها له وهو لم يتعود السفر ، وخشيانا يروى حشيانا من الحشى وهو تواتر النفس من تعب ونحوه قال الشماخ

تُلَاعِبُنِي إِذَا مَا شِئْتُ خَوْدٌ ... عَلَى الْأَنْمَاطِ ذَاتُ حَشًى قَطِيعِ

« اى ذات نفس متقطع من سمنها وقطيع نعت لحشى » وفى حديث عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من بيتها ومضى إلى البقيع فتبعته تظن أنه دخل بعض حجر نسائه فلما أحس سوادها قصد قصدها فعدت فعدا على أثرها فلم يدركها إلا وهى فى جوف حجرتها فدنا منها وقد وقع عليها البهر والربو فقال لها مالى أراك حشيا رابية « أى مالك قد وقع عليك الحشى وهو الربو والبهر والنهج الذى يعرض للمسرع فى مشيته والمحتد فى كلامه من ارتفاع النفس وتواتره » يقول المتنبى : ان وخدها يزعجه لشدة ترفه فيتتابع نفسه (١) نضا عنه الثوب خلعه وألقاه ويكسى بمعنى يكتسى يقال كسوته ثوبا اكسوه وكسى يكسى فهو كاس اذا اكتسى يقول : اذا خلع الثياب عريت من محاسنه لأنه يزين الثياب بحسنه واذا عرى عن الثوب كان مكسوا بالحسن (٢) الأعكان الأطواء فى بطن الجارية وهى جمع عكن جمع عكنة وتعكن بطن الجارية . يقول : ان المسك يحبه كالمستهام به ويلتف عليه حتى يصير المسك أعكانا على أعكان بطنه (٣) يقول : كنت أشفق ــ أخاف ــ على عينى من البكاء أما وقد افترقنا فقد هان على كل عزيز لبعدكم ، يعنى أن يهون عليه فقد البصر فى البكاء على فراقهم ، وهذا منقول من قول أبى نواس فى الأمين

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتَ وَحْدَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ لِى شَيْءٌ عَلَيْهِ أُحَاذِرُ

تُهْدِي البَوَارِقُ أَخْلَافَ المِيَادِ لَكُمْ ... وَالْمُحْبُّ مِنَ التَّذْكَارِ نِيرَانَا(١)

إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الأَهْوَالِ شَيَّعَنِي ... قَلْبٌ إِذَا شِئْتُ أَنْ يَسْلُوكُمُ خَانَا(٢)

أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي ... وَلَا أُعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانَا(٣)

وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي ... إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُمَا كَانَا(٤)

وأخذه أبو نواس من قول امرأة من العرب

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِرِي ... فَعَلَيْكَ يَبْكِي النَّاظِرُ

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ ... فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ

(١) البوارق السحائب ذات البرق . والأخلاف الضروع واستعار للمياه اخلافا لأنها تغذو النبات كما تغذو الأم بالأرضاع الولد . يقول : اذا برقت السحائب بشرتكم بالقطر — المطر — فهى تهدى اليكم الماء وتنبت لكم الكلأ وتهدى للمحب نيرانا أى تذكى نيران شوقى لأنها تلمع من جانبكم الذى ارتحلتم اليه فيتجدد بها شوقى

(٢) قدمت بفتح الدال تقدمت وبكسرها وردت . وشيعنى تبعنى . واسلاكم مثل اسلوكم . يقول : قلبى يتبعنى ويطيعنى فى كل هول إلا على السلو فانه لايطيعنى وانما يخونني ، وفيه نظر إلى قول البحترى

احْنُو عَلَيْكِ وَفِي فُؤَادِي لَوْعَةٌ ... وَأَصُدُّ عَنْكِ وَوَجْهُ وُدِّي مُقْبِلُ

وَإِذَا طَلَبْتُ وِصَالَ غَيْرِكِ رَدَّنِي ... وَلَهُ عَلَيْكِ وَشَافِعٌ لَكِ أَوَّلُ

(٣) الصفح الأعراض . والأهوان الأهانة أخرجه على الأصل للضرورة كما قال الآخر

صَدَدْتَ فَأَطْوَلْتَ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا ... وِصَالٌ عَلَى طُولِ الصدود يَدُومُ

« يريد فأطلت فجاءبه على الأصل » يقول : اذا ظهرت لمن يذكرنى بالسوء فى غيبتى عظمنى وخضع لى وأنا أعرض عن عتابه اعراضا عنه واحتقارا له لأنه لايقدر أن ينظر إلي فى حضرتى (٤) يقول : وكنت وأنا فى وطنى وبين أهلى غريبا قليل الموافق والمساعد ، ثم قال وكذلك النفيس العزيز غريب حيث كان ولو فى وطنه وبين أهله لأن هذه الغربة انما هى لفقد النظير لالفقد النسيب ، قال أبو تمام

مُحَسَّدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِى أَلْقَى الْكَمِيَّ وَيَلْقَانِى إِذَا حَانَا(١)
لاَ أَشْرَئِبُّ إِلَى مَالَمْ يَفُتْ طَمَعًا وَلاَ أَبِيتُ عَلَى مَا فَاتَ حَسْرَانَا(٢)
وَلاَ أُسَرُّ بِمَا غَيْرِى الْحَمِيدُ بِهِ وَلَوْ حَمَلْتَ إِلَىَّ الدَّهْرَ مَلآنَا(٣)
لاَ يَجْذِبَنَّ رِكَابِى نَحْوَهُ أَحَدٌ مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا قَلْقَلْنَ كِيرَانَا(٤)
لَوِ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِاللهِ بُعْرَانَا(٥)

غَرَّبَتْهُ الْعُلَى عَلَى كَثْرَةِ الأَهْـ ـلِ فَأَضْحَى فِى الأَقْرَبِينَ جَنِيبا
فَلْيَطُلْ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِى مَرْ وَ مُقِيمًا بِهَا لَمَاتَ غَرِيبَا

(١) محسد خبر مبتدا محذوف أى انا محسد الفضل والمحسد من يحسد كثيرا . والكمى البطل المستتر بسلاحه. وحان حينه قرب أجله . يقول : أنا محسود الفضل فى كل مكان ويكذب على اذا قمت وخرجت من مشهد ومجمع، والشجاع اذا حان حينه لقينى فى المعركة، فقوله مكذوب على أثرى أى يكذب على اعدائى على اثرى وخلفى ووقت خروجى من محفل وهو من قول البرج التغلبى

يَغْتَابُ عِرْضِى خَالِيًا وَإِذَا تَلاَقَيْنَا اقْشَعَرْ

وقال سويد بن أبى كاهل

وَيُحَيِّينِى إِذَا لاَقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِى رَتَعْ

(٢) اشرأب إلى الشىء تطلع نحوه ، وحسران فعلان من الحسرة . يقول : لا أتطلع الى مالم يفت من الدنيا ولا أتحسر على مافات ، أى لا أبالى بالدنيا فلا اتطلع إلى شىء ولا اتحسر على شىء ، وفيه نظر الى قول الآخر

إِنَّ الْغَنِىَّ الَّذِى يَرْضَى بِعِيشَتِهِ لاَ مَنْ يَظَلُّ عَلَى مَافَاتَ مُكْتَئِبَا

(٣) الحميد المحمود يقول : لا أسر بالشىء الذى آخذه من غيرى لانه هو المحمود على اعطائه ونفسى تأبى ذلك ولو ملأت الدهر لى عطايا (٤) الركاب الابل. وقلقن حركن. والكيران جمع كور وهو رحل الجمل . يقول . لا أقصد أحدا ما حييت وما حركت ركابى أكوارها ، يعنى ليس هناك من يستحق ان أقصده وأنتجع اليه

(٥) بعرانا جمع بعير وهو حال من الناس . يريد بالناس جماعة بأعيانهم كما يدل.

فَالْعِيسُ أَعْقَلُ مِنْ قَوْمٍ رَأَيْتَهُمُ عَمَّا يَرَاهُ مِنَ الإِحْسَانِ عُمْيَانَا(١)

ذَاكَ الْجَوَادُ وَإِنْ قَلَّ الْجَوَادُ لَهُ ذَاكَ الشُّجَاعُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ أَقْرَانَا(٢)

ذَاكَ الْمُعِدُّ الَّذِي تَقْنُو يَدَاهُ لَنَا فَلَوْ أُصِيبَ بِشَيْءٍ مِنْهُ عَزَّانَا(٣)

خَفَّ الزَّمَانُ عَلَى أَطْرَافِ أُنْمُلِهِ حَتَّى تُوُهِّمْنَ لِلْأَزْمَانِ أَزْمَانَا(٤)

على ذلك البيت التالى . قال الواحدى : يقول : لو قدرت لأظهرت ماوراء ظواهرهم من المعانى البهيمية وإظهار ذلك باجرائهم مجرى سائر الحيوان بالركوب وانما كنت أفعل ذلك لأنه لا عقل لهم ، قال الصاحب بن عباد ينقد المتنبى : أراد أن يزيد على الشعراء فى ذكر المطايا فأتى بأخزى الخزايا ، قال : ومن الناس أمه فهل ينشط لركوبها ؟ وللممدوح أيضا عصبة لا يحب أن يركبوا إليه . قال الواحدى : وليس الأمر على ماقال لأن الشاعر إذا ذكر الناس فانه يخرج من جملتهم كثيرا من الناس كما قال القائل

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا أَسِيرُ ثَقِيفٍ عِنْدَهُمْ فِى السَّلَاسِلِ

لم يفضل القائل أحدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهذا البيت وان كان قد أكد بقوله حيا وميتا على أن المتنبى خصص فى البيت التالى

(١) العيس الابل البيض . وعما متعلق بعميانا . يقول : الابل أعقل من قوم وجدتهم قد عموا عما رآه هذا الممدوح من الأحسان فلم يهتدوا لفعله ، وقد ظهر بهذا البيت انه انما يتعطى من الناس اللئام الذين عموا عن طريق الاحسان فلم يروا منه مارآه الممدوح (٢) الجواد السخى الذى يجود بماله ، والأقران جمع قرن بكسر القاف وهو الكفؤ فى الحرب يقول : لا يمكننا أن نصفه فى جوده بصفة فوق الجواد وان كان لفظ الجواد قليلا عليه وهو الشجاع وإن كان لايرضى له قرينا ممن يقال لهم شجعان ، يعنى أنه فوق كل جواد وفوق كل شجاع وان قل أن يقال له أنت الجواد وأنت الشجاع إذ لا يكفى أن يوصف بما يوصف به غيره (٣) المعد المهيء الشيء لوقت الحاجة . وتقنو أى تقتنى يقال قنوت الشيء أقنوه قنوا . وعزيت الرجل سليته عن حزنه . يقول : ان ما يجمعه من المال ويقتنيه إنما يقتنيه للشعراء والوافدين فلو أصيب بشيء من ذلك المال عزانا لأن ذلك المال لنا وان كان فى يده (٤) الأنمل أطراف الأصابع يقول : ان الزمان فى يده وتحت تصرفه فهو يصرفه على ارادته فكأن أنامله أزمان للأزمان لتقليبها اياها والزمان يقلب الأحوال وأنامله تقلب الزمان فكأنها زمان للزمان

يَلْقَى الوَغَى وَالْقَنَا وَالنازِلاَتِ بِهِ
وَالسَّيْفَ وَالضَّيْفَ رَحْبَ الْبَاعِ جَذْلاَنَا(١)
تَخَالُهُ مِنْ ذَكَاءِ الْقَلْبِ مُحْتَمِياً وَمِنْ تَكَرُّمِهِ وَالْبِشْرِ نَشْوَانَا(٢)
وَتَسْحَبُ الْخِبَرَ الْقَيْنَاتُ رَافِلَةً فِي جُودِهِ وَتَجُرُّ الْخَيْلُ أَرْسَانَا(٣)
يُعْطِي الْمُبَشِّرَ بِالْقُصَّادِ قَبْلَهُمُ كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانَا(٤)
جَزَتْ بَنِي الْحَسَنِ الْحُسْنَى فَإِنَّهُمُ فِي قَوْمِهِمْ مِثْلُهُمْ فِي الْغُرِّ عَدْنَانَا(٥)

(١) الوغى الحرب . والقنا الرماح . والنازلات حوادث الدهر تنزل بالأنسان . ورحب الباع واسع الصدر . وجذلانا فرحا مستبشرا . يقول : هو شجاع جلد يلقى الامور الصعاب فرحا مسرورا (٢) محتميا متوقدا شديد الحرارة . والبشر طلاقة الوجه وتهلله . والنشوان السكران . يقول: لحدة قلبه وذكائه كأنه متوقد ، ومن كرمه وتهلل وجهه كأنه سكران (٣) الخبر جمع خبرة بكسر ففتح وهي ثياب تعمل في اليمن والقينات جمع قينة وهي الجارية المغنية. ورفل في ثيابه يرفل اذا أطالها وجرها متبخترا . والارسان جمع رسن وهو الحبل . يقول: ان جميع ما ننفقه هو من ماله فما تلبسه الجواري وترفل فيه من ثياب الحسن فهو من جوده وكذلك ما تجر خيلنا من الارسان

(٤) عطشانا حال من الهاء في يبشره . يقول : من يبشره بالزوار والعفاة قبل اتيانهم يعطيه لبشارته كما يعطى من يبشره بالماء وهو عطشان ، يعني أنه يسر بالزائرين كما يسر بالماء عند العطش كما قال أبو تمام

يُبَشِّرُهُ خُدَّامُهُ بِعُفَاتِهِ كَمَا بَشَّرَ الظَّمْآنَ بِالْمَاءِ وَاشِلُهْ

« الوشل الماء القليل والماء الكثير فهو من الاضداد وماء واشل ويقال وشل فلان الى فلان اذا ضرع اليه فهو واشل اليه » (٥) الضمير في مثلهم عائد على القوم . والغر جمع الاغر وهو السيد الشريف . وعدنانا بدل من الغر . قال ابن جني كان الممدوح من ولد الحسن بن علي عليهما السلام . والحسنى ضد السوأى . وقالوا المراد بها الجنة . يقول : كانت الحسنى جزاء لهم فانهم في قومهم مثل قومهم في عدنان الغر ، يعني أنهم خير قومهم وقومهم خير عدنان وهذا من قوله تعالى « فله جزاء الحسنى »

مَا شَيَّدَ اللهُ مِنْ مَجْدٍ لِسَالِفِهِمْ إِلاَّ ونَحْنُ نَرَاهُ فِيهِمِ الْآنَا(١)
إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لَقُوا أَوْ حُورِبُوا وُجِدُوا
فِى الْخَطِّ وَالنَّفْطِ وَالْهَيْجَاءِ فُرْسَانَا(٢)
كَأَنَّ أَلْسُنَهُمْ فِى النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمِ فِى الطَّعْنِ خِرْصَانَا(٣)
كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْمَوْتَ مِنْ ظَمَأٍ أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِّىِّ رَيْحَانَا(٤)
أَلْكَائِنِينَ لِمَنْ أَبْغِى عَدَاوَتَهُ أَعْدَى الْعِدَا وَلِمَنْ آخَيْتُ إِخْوَانَا(٥)

---

(١) يقول . انهم حماة المجد حافظوا على شرف آبائهم واحسابهم فلم يهدموه ولم يضيعوا شيأ منه فهو فيهم الآن (٢) قال الواحدى : هذا تفصيل ما أجمله فى البيت الذى قبله يعنى أنهم كتاب فضلاء شجعان كآبائهم فهم فرسان الكتابة والبلاغة والحرب، وليس يريد يقول لقوا ملاقاة الأقران فى القتال لأنه ذكر الحرب بعده انما يريد ملاقاة الأقران فى الخطابة والمكالمة (٣) الخرصان جمع خرص وهو حلقة السنان والمراد بها هنا الأسنة نفسها . يقول : ان ألسنتهم ماضية نافذة مضاء السنتهم فى النطق فكأن السنتهم قد جعلت خرصانا على رماحهم . فهو كما ترى أراد تشبيه الألسنة فعكس التشبيه وحول وجه الكلام مبالغة فى مضاء الألسنة وذلاقتها حتى صارت الألسنة تشبه بها ، وهذا منقول من قول البحترى

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِى النَّدِىِّ كَلَامُهُ الْـ مَصْقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

(٤) الظمأ العطش . وينشقون يشمون . والخطى الرمح نسبة الى الخط موضع باليمامة . يقول : لسهولة الحرب عليهم واستراحهم اليها صار الموت عندهم كالماء للظمآن وصارت الرماح كالريحان الذى يشم ، وهذا بسبيل من قول البحترى

يَتَزَاحَمُونَ عَلَى الْقِتَالِ لَدَى الْوَغَى كَتَزَاحُمِ الْإِبِلِ الْعِطَاشِ بِمَوْرِدِ

(٥) نصب الكائنين على المدح كأنه قال أمدح أو أعنى وأعدى العدى خبر الكائنين . وهذا مثل قول البحترى

أَخٌ لِىَ لَا يُدْنِى الذى أَنَا مُبْعِدٌ لِشَىْءٍ وَلَا يَرْضَى الذى أَنَا سَاخِطُهْ

خَلَائِقٌ لَوْ حَوَاهَا الزِّنْجُ لَانْقَلَبُوا ... ظُمْيَ الشِّفَاهِ جِعَادَ الشَّعْرِ غُرَّانَا (١)

وَأَنْفُسٌ يَلْمَعِيَّاتٌ تُحِبُّهُمُ ... لَهَا اضْطِرَارًا وَلَوْ أَقْصَوْكَ شَنْآنَا (٢)

اَلْوَاضِحِينَ أُبُوَّاتٍ وَأَجْبِنَةً ... وَوَالِدَاتٍ وَأَلْبَابًا وَأَذْهَانَا (٣)

يَا صَائِدَا الْجَحْفَلِ الْمَرْهُوبِ جَانِبُهُ ... إِنَّ اللُّيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أُحْدَانَا (٤)

وَاهِبًا كُلَّ وَقْتٍ وَقْتُ نَائِلِهِ ... وَإِنَّمَا يَهَبُ الْوُهَّابُ أَحْيَانَا (٥)

(١) خلائق خبر مبتدا محذوف أى هذه خلائق . والخلائق جمع خليقة وهى السجية. والزنج جيل من السودان . وظمى الشفاه دقاق الشفاه مع سمرة كأنها لم ترتوفتغاظ وغران جمع أغر وهو الأبيض المشرق. والجعد من الشعر خلاف المسترسل . يقول : انهم قوم لهم محامد وخصال جميلة لوحواها الزنج على قبح صورهم لغطت هذا القبح وصاروا عند الناس كمن خلقتهم خلقة حسنة وصاروا مع سوادهم كأنهم بيض ومع غلظ مشافرهم كأنهم ظمى الشفاه ، قال ابن القطاع قد أخذ عليه فى هذا البيت قوله جعاد الشعر اذ كأنه قال لا نقلبوا من الجعودة الى الجعودة لأن شعور الزنج جعاد قال : والمعنى أنهم انقلبوا الى حد الاعتدال لأن شعور الزنج زائدة الجعودة

(٢) اليلمعى الألمعى الحاد الفطنة . وقوله لها أى لاجلها . وأقصوك أبعدوك . والشنآن البغض يحرك ويسكن . يقول : ولهم أنفس ذكية فطنة تحبهم — أيها المخاطب — لأجلها ضرورة ولو أبعدوك بغضا لك ، يعنى ان من عاداه يحبهم لما فيهم من الفطانة فحبهم ضرورة (٣) الواضحين نصب على المدح أى أذكر أو أعنى ونحوهما . والابوة مصدر الاب يريد الآباء . والاجبنة جمع جبين . والالباب جمع لب العقل . يقول : هم معروفوا الاباء وأنسابهم ظاهرة ووجوههم حسنة جميلة أو متهللة كرما مشرقوا العقول والاذهان ، ويقال فلان واضح الجبين اذا كان حسن المنظر بهيا كما قال ابن غنمة

كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

(٤) الجحفل الجيش العظيم . واحدانا جمع واحد وأصله وحدان : يقول : أنت تصيد الجيش كله والليث يصيد الناس واحدا واحدا فانت أشد بطشا من الليث

(٥) كل وقت مبتدا خبره وقت نائله والجملة صفة لواهبا والنائل العطاء . والوهاب جمع واهب وقد روى بفتح الواو صيغة مبالغة . يقول : ان الاجواد يجودون الحين بعد الحين وأنت جواد تجود كل الاوقات

أَنْتَ الَّذِي سَبَكَ الْأَمْوَالَ مَكْرُمَةً ثُمَّ اتَّخَذْتَ لَهَا السُّؤَّالَ خُزَّانَا(١)

عَلَيْكَ مِنْكَ إِذَا أُخْلِيتَ مُرْتَقِبٌ لَمْ تَأْتِ فِي السِّرِّ مَا لَمْ تَأْتِ إِعْلَانَا(٢)

لَا أَسْتَزِيدُكَ فِيمَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ أَنَا الَّذِي نَامَ إِنْ نَبَّهْتُ يَقْظَانَا(٣)

فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهَيْتُ الْكِرَامَ بِهِ وَرَدَّ سُخْطًا عَلَى الْأَيَّامِ رِضْوَانَا(٤)

(١) السبك الاذابة والافراغ ومكرمة مفعول ثان لسبك على تضمينه معنى حول والمكرمة فعل الكرم . يقول :انه سبك أمواله وأحالها مكارم ثم جعلها فى أيدى العفاة فكأنه اتخذهم خزانا لاموله ، وعبارة الواحدى : سبك الاموال أى جمعها وصفاها واستخلصها ثم اتخذ السؤال — جمع سائل — خزانا مكرمة أى سلمها اليهم كما يسلم المال الى الخازن،وهذا من قول البحترى

جُمَلٌ مِنْ لَهًى يُشَكِّكْنَ فِي الْقَوْ مِ أَهُمْ مُجْتَدُوهُ أَمْ خُزَّانُهْ

(٢) أخليت يروى بالبناء للمجهول أى وجدت خاليا ويروى بفتح الهمزة أى صادفت مكانا خاليا كما يقال أكذبته اى صادفته كذابا واجبنته صادفته جبانا والمرتقب الرقيب . يقول : لست تفعل فى الخلا ما لا تفعله فى الملا ، وفى السر مالاتفعله فى العلن فلك من نفسك رقيب عليك . وهذا ينظر الى قول ابن المعتز

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَيَّ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبُ

(٣) يقول : لقد بلغت الغاية فى الكرم فلو انى استزدتك كرما كنت كمن نبه يقظان واليقظان لا ينبه كذلك أنت لا تستزاد كرما . قال العكبرى : انما قال نام ولم يقل نمت لانه لما كان فى الضمير ذم لم يرده الى نفسه وهذا من أدق ما فى شعره وأدله على حكمه واستيلائه على قصب السبق فى شعره ولو تأملت شعره لوجدت فيه كثيرا من هذا واذا كان فى الضمير مدح أعاده الى نفسه ألا ترى الى قوله

* وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا *

فاعاد الضمير اليه ولم يقل نفوسهم وهذا من البلاغة والحذق (٤) باهيت فاخرت .والسخط ضد الرضى . ورضوانا مصدر يقال بكسر الراء وضمها يقول : بمثلك أباهى الكرام وأرضى عن الايام ، يعنى أنك ترد الساخط على الأيام راضيا ، باحسانك وانعامك

وأَنْتَ أَبْعَدُهُمْ ذِكْرًا وَأَكْبَرُهُمْ قَدْرًا وَأَرْفَعُهُمْ فِي المَجْدِ بُنْيَانَا
قَدْ شَرَّفَ اللهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِنُهَا وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا (١)

وقال فى مجلس أبى محمد بن طغج وقد أقبل الليل وهما فى بستان

زَالَ النَّهَارُ ونُورٌ مِنْكَ يُوهِمُنَا أَنْ لَمْ يَزُلْ وَلِجُنْحِ اللَّيْلِ إِجْنَانُ (٢)
فَإِنْ يَكُنْ طَلَبُ البُسْتَانِ يُمْسِكُنَا فَرُحْ فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بُسْتَانُ (٣)

وقال فى بطيخة من الند فى غشاء من الخيزران عليها قلادة لؤلؤ

وعلى رأسها عنبر قد أدير حولها كانت فى يد أبى العشائر *

مَا أَنَا وَالخَمْرُ وَبِطِّيخَةٌ سَوْدَاءُ فِي قِشْرٍ مِنَ الخَيْزُرَانْ (٤)

---

(١) قال ابن جنى : لايعجبنى قوله سواك لأنه لايليق بشرف ألفاظه ولو قال انشاك أو نحوه لكان أليق . قال العروضى سبحان الله أتليق هذه اللفظة بشرف القرآن ولاتليق بلفظ المتنبى ؟ قال الله تعالى الذى خلق فسوى، وقال بشرا سويا، وقال فسواك فعدلك وقال ثم سواك رجلا . قال ابن فورجه قرأت على أبى العلاء المعرى ومنزلته فى الشعر ماقد علمه من كان ذا أدب فقلت له يوما فى كلة : ما ضر أبا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلة أخرى أوردتها فأبان لى عوار الكلمة التى ظننتها ثم قال لى لاتظنن أنك تقدر على ابدال كلة واحدة من شعره بما هو خير منها فجرب ان كنت مرتابا . وها أنا أجرب ذلك منذ هذا العهد فلم أعثر بكلمة لو أبدلتها بأخرى كان أليق بمكانها وليجرب من لم يصدق يجد الأمر على ما أقول (٢) جنح الليل بضم الجيم وكسرها طائفة منه وجنوح الليل اقباله . وجنه الليل وأجنه ستره . يقول : اذا أبصرنا نور وجهك ظننا أن النهار باق لم يزل مع أن الليل قد أظلم (٣) يقول : ان كنا انما نبقى فى هذا البستان رغبة فى البستان فسر منه فكل مكان كنت فيه فهو بستان بك.
* قدتقدمت قطع أخرى فى هذه البطيخة (٤) من رفع الخمر عطفه على أنا ومن نصب جعل الواو بمعنى مع واعراب بطيخة اعراب الخمر وقد جعل غلاف البطيخة قشر الها.

يَشْغَلُنِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا تَوْطِينِيَ النَّفْسَ لِيَوْمِ الطِّعَانْ (١)
وَكُلُّ نَجْلَاءَ لَهَا صَائِكٌ يَخْضِبُ مَا بَيْنَ يَدِي وَالسِّنَانْ (٢)

وقال وقد بلغ أبا الطيب أن قوماً نعوه فى مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر

بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنْ (٣)
أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنْ (٤)
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنْ (٥)
فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنْ (٦)

(١) وطن نفسه للأمر ذللها ومهدها . يقول : مالى ولهذه البطيخة ؟ انى مشغول عنها وعن غيرها بتوطين نفسى للضرب والطعن يوم الطعن (٢) كل بالرفع عطف على توطينى ومن خفضه عطفه على الطعان والنجلاء الواسعة وصائك لازق صالك به الطيب اذا الصق به . يقول : ويشغلنى كل طعنة واسعة يسيل منها دم يلصق بالمطعون ويخضب القناة من يدى إلى السنان (٣) بم أى بماذا حذف مالدخول الجار عليها وقد سبق أن بسطنا القول فى مثل ذلك . وتعلل بالشىء تلهى به . والسكن الصاحب وكل ما تسكن اليه . يشكو الزمان . يقول : بأى شىء أعلل نفسى وأنا بعيد عن أهلى ووطنى وليس لى شىء ألهو به ولا أحد أسكن اليه (٤) يقول : ان همته أعلى من أن يكون فى وسع الزمان البلوغ اليها وهو يتمنى على الزمان أن يبلغه همته . قالوا : ويجوز أن يكون المعنى : اطلب من الزمان استقامة الأحوال والزمان لا يبلغ هذا من نفسه لأنه ربيع وصيف وشتاء وخريف ، ويجوز أن يريد أنه يطالب الزمان بأن يخلو من الاضداد والزمان ليس يبلغ هذا من نفسه فان الليل والنهار كالمتضادين ، ويجوز أن يريد أنى أقترح على الزمان الاستبقاء وهو لم ينل فى نفسه البقاء فيكون قد لم بقول البحترى

تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَدْمُرُ فِي تَصَرُّفِهِ الزَّمَانُ

(٥) يقول : ما دمت حيا فلا تبال بالزمان وصروفه ونوائبه فانها تزول ولا تبقى والذى لا عوض منه اذا فات هو الروح فقط (٦) هذا توكيد الذى قبله يقول : لا تبال

مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمُ هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا (١)

تَفْنَى عُيُونُهُمُ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ (٢)

تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ (٣)

مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ إِنْ مُتُّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ (٤)

بما يحدثه لك الدهر فان المفروح به لايدوم فرحه لأنه لايدوم والحزن على الغائب لايرده اليك ، هذه رواية الواحدى وتبعه العكبرى وعلى هذا فسرور مضاف إلى مابعده ، قال بعضهم وهو من التجوزات المستقبحة فى الوزن ومن ثم قال ولعل الأظهر

* فَمَا يُدِيمُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ *

قال وهو مايقتضيه التطابق بين شطرى البيت يقول : — المتنبى : سرورك بالشىء لايديمه عليك لأن كل شىء زائل فكذلك حزنك عليه بعد زواله لايرده لأن مافات لايعود (١) يقول: مما أضر بالمحبين أنهم أحبوا قبل أن يعرفوا الدنيا ويفطنوا لها ولأهلها ومامطبعت وطبعوا عليه من الغدر وعدم الاسعاف والمؤاناة ولو هم فطنوا لذلك ماأحبوا ولا أضاعوا أيامهم وأضنوا أنفسهم فى سبيل من لايستحق ذلك منهم قال العكبرى : وهو من قول الحكيم العشق ضرورة داخلة على النفس والعاشق جاهل بتلك الضرورة وقول الواحدى : يعنى بأهل العشق الذين يعشقون الدنيا: تخصيص لا معنى له وتعميمه أنسب

(٢) يقول : يبكون حتى تفنى عيونهم بالبكاء وانفسهم بالحزن على كل مستحسن فى الظاهر قبيح عند الاختبار قال الواحدي وتبعه العكبرى يريد بذلك الدنيا ومتاعها قال العكبرى وأحسن من هذا كله قول أبى نواس

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

(٣) تحملوا أى ارتحلوا . والناجية الناقة المسرعة . والبين البعد والفراق . وعلى متعلق بمؤتمن قال ابن جنى : هذا تشبيب من يضمر فى نفسه عتبا وموجدة . يقول : — لمن شبب بهم بعد الذى ذكره من حال العاشق والمعشوق — : ارتحلوا عنى فان الفراق اليوم — أى بعد اختبارى لأحوال الدنيا وأهلها — مؤتمن على أى أرضى بحكمه ولا تضرنى غائلته ، يعنى لا أحزن لفراقكم ، وقوله حملتكم كل ناجية دعاء بالبعد وفى الكلام تعريض لايخفى (٤) الهودج مركب النساء. والمهجة الروح . يقول. لستم أهلا

يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ ... كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ (١)

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مُتُّ عِنْدَكُمُ ... ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ (٢)

قَدْ كَانَ شَاهَدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمِ ... جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا (٣)

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ (٤)

رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمُ ... وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ (٥)

جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمُ مَلَلٌ ... وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمُ ضَغَنُ (٦)

وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ ... حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنَنُ (٧)

لأن تبذل فيكم الأرواح شوقا اليكم ومحبة لكم فلستم تعوضونى روحا غيرها اذا أتلفتها

(١) الناعون جمع ناع وهو الذى يأتى بخبر الميت . وأصله أن العرب كانت إذا مات منها من له قدر جليل ركب راكب فرسا وجعل يسير ويقول نعاء فلانا أى أنعه وأظهر خبر وفاته . يقول : انى قد نعيت بمجلسكم على البعد وكل أحد مرتهن بالموت لابد له منه فلا يفرح أحد بنعى أحد (٢) يقول : كم قد أخبرتم بموتى وتحقق ذلك عندكم ثم بان الامر بخلاف ذلك فكأنى كنت ميتا ثم خرجت من القبر . (٣) قوله قبل قولهم أى قبل قول الناعين . يريد أن قوما نعوه قبل هؤلاء وأخبروا أنهم شاهدوا دفنه ثم ماتوا قبل المتنبى ، أى فقد بان كذبهم فيما ادعوا (٤) يقول : ان أعدائى يتمنون موتى ولكنهم لا يدركون ما يتمنون ثم ضرب لذلك مثل السفن قال : ان السفن — يعنى أهلها — تشتهى الرياح الموافقة لسيرها ولكن الرياح كثيرا ما تجرى على غير ما تشتهى

(٥) العرض ما يمدح به الرجل ويذم وقيل الحسب وقيل النفس . يقول : من جاوركم لا يقدر على صون عرضه لأنه يشتم عندكم فلا تكترثون لشتمه ولا تحامون عنه ، وإذا رعت النعم فى أرضكم لم يدر لبنها على مرعاكم لوخامته ، وهذا مثل يريد ان نعمتكم مشوبة بالأذى فلا يهنأ آخذها حتى تزكو عنده بالشكر ، وكل هذا تعريض لسيف الدولة وهجاء مرله (٦) الضغن والضغن الحقد . يقول : من قرب منكم مللتموه وأبغضتموه ومن أحبكم حقدتم عليه ، أى لستم تجازون المحب ولا القريب بما يستحقانه

(٧) الرفد العطاء . والمنن جمع منة اسم من امتن عليه إذا عدد له صنائعه . يقول :

فَغَادَرَ الْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ ... يَهْمَاءَ تَكْذِبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالأُذُنُ (١)

تَحْبُو الرَّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا ... وَتَسْأَلُ الأَرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّفِنُ (٢)

إِنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي كَرَمٌ ... وَلاَ أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي جُبُنُ (٣)

وَلاَ أُقِيمُ عَلَى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ ... وَلاَ أَلَذُّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ (٤)

سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ ... ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوَى الْوَسَنُ (٥)

لا يخلو عطاؤكم من المن والأذى حتى يصير آخذه معاقبا بتغيض ما أخذه ، وهذا كله تعريض — كما أسلفنا — لسيف الدولة (١) اليهماء الأرض التى لا يهتدي فيها يقال برأيهم وفلاة يهماء . يدعو بالبعد بينهم وبينه يقول : ترك الهجر بيني وبينكم فلاة مترامية الأطراف ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، وهو معلوم أن سالك المفاوز والقفار تخيل لعينه الأشياء ولسمعه الأصوات ، ومن هذا قول ذى الرمة

إِذَا قَالَ حَادِينَا لِيَسْمَعَ نَبْأَةً ... صَهِ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ دَوِيُّ الْمَسَامِعِ

(٢) حبا يحبو مشى على بطنه ويديه . والرواسم الأبل التى سيرها الرسيم وهو ضرب من السير سريع . والثفن جمع ثفنة مثل كلم وكلة وهى المواضع التى تبرك عليها الأبل كالركبتين والكركرة . يقول : لطول السير فى هذه اليهماء ومتابعته تبرى الأرض أخفاف الابل فتحبو على ثفناتها بعد أن كانت تسير الرسيم وتقول الثفنات للأرض أين ذهبت الأخفاف حتى انتقل السير عليها — على الثفنات — بعد أن كان على الأخفاف ، وهذا تمثيل لطول السير وقوته أى لو قدرت على السؤال لسألت

(٣) يقول : احلم عمن يؤذينى مادام حلمى يعد كرما فاذا كان يعد جبنا لا أحلم كما قال الفند الزمانى

وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذَّلَّةِ إِذْعَانُ

(٤) الدرن الوسخ . يقول : لا آخذ المال بالذل وكل مال يحصل لى بذل تركته ، ولا أستطيب شيأ يلطخ عرضى بأخذه (٥) أصل المرير الحبل الشديد الفتل ويقال استمر مريره على كذا اذا استحكم أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده . وارعوى انزجر وارتدع . والوسن النعاس . يقول : لما فارقتكم استوحشت لفراقكم حتى امتنع

وَإِنْ بُلِيتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ ... فَإِنَّنِي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ (١)

أَبْلَى الأَجِلَّةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمُ ... وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنُ (٢)

عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ ... فِي جُودِهِ مُضَرُ الْحَمْرَاءِ وَالْيَمَنُ (٣)

وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ ... فَمَا تَأَخَّرُ آمَالِي وَلَا ظَنِنُ (٤)

وقادى ، أى لألفى اياكم على جفائكم ، ثم قويت وتصبرت وعاد إلى النوم إذ سلوت

(١) بفراق مثله أى بفراق مثل رحيلى عنكم . وقمن خليق وجدير . يقول : ان كنت فى قوم آخرين فعاملونى معاملتكم فارقتهم كما فارقتكم ، وهذا تعريض بكافور يعنى أنه ان جرى على رسمكم ألحقته بكم فى الفراق ، قال الواحدى: ومثل هذه الابيات أنشده المبرد

لا تَطْلُبِ الرِّزْقَ بِامْتِهَانِ ... وَلَا تَرِدْ عُرْفَ ذِي امْتِنَانِ

وَاسْتَرْزِقِ اللهَ وَاسْتَعِنْهُ ... فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانِ

أَشَدُّ مِنْ فَاقَةٍ وَجُوعٍ ... إِغْضَاءُ حُرٍّ عَلَى هَوَانِ

فَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ بِقَوْمٍ ... فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانِ

(٢) الجل واحد الجلال وجمع الجمع الأجلة . وهو ما يتجلل به الفرس . والعذر جمع عذار وهو ما كان على خد الفرس من اللجام . والفسطاط اسم لمصر . والرسن الحبل . يقول : طال مقامى بمصر لاكرام مثواى هناك حتى بليت جلال فرسى وعذاره ورسنه فابدلت بغيرها ، عبر عن طول المقام ببلى هذه الأشياء (٣) الهمام العظيم الهمة . ومضر الحمراء بالاضافة هو مضر بن نزار وانما قيل له ذلك لأن نزارا لما مات تحاكم أولاده ربيعة ومضر واياد وانمار إلى جرهم فى قسم ميراثه فاعطى ربيعة الخيل فسمى ربيعة الفرس وأعطى اياد الابل فسمى اياد النعم وأعطى مضر الذهب فسمى مضر الحمراء ومافضل من سلاح وأثاث أعطى انمارا فسمى انمار الفضل واليمن ليسوا من أولاد مضر فلذلك أفردهم بالذكر يقول : ان كافورا عم جوده العرب جميعا (٤) تأخر بحذف إحدى التاءين أى تتأخر . وبعض موعده يروى بعض نائله . وتهن تضعف . يريد ان عداته زائدة على آماله يقول : هو ينفذ آمالى ولا يتأخر عنى ما آمله ولا يضعف رجائى

هُوَ الْوَفِيُّ وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوَدَّةً فَهْوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ (١)

وقال بمصر ولم ينشدها كافورا

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا (٢)

وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْـــهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا (٣)

رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لَيَالِيـــهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الإِحْسَانَا (٤)

وَكَأَنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا بِرَيْبِ الدَّهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا (٥)

عنده وان تأخر بعض موعده ، يشير الى ما وعده به من خطة الولاية ثم ذكر عذر تأخره فى البيت التالى (١) الابتلاء والامتحان الاختبار . يقول : هو يفى بما وعد غير أنه يختبر ماذكرت له من المودة والمحبة فلهذا يتأخر عنى ماوعدنى به

(٢) عناه الامر أهمه ومنه الحديث من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه أى لايهمه يقول : كل من صحب الزمان اهتم بشأنه كما نهتم نحن (٣) تولوا ذهبوا . والغصة ما غصصت به من هم وحزن ونحوهما واصلها الشجا يغص به فى الحرقدة تقول غصصت باللقمة وبالماء . يقول : لم ينل أحد مراده من الدنيا ولم يبلغ أمله فمات بغصته وان سر فى بعض الأحايين

(٤) يقول : ديدن الدهر أن يعطى ثم يرجع فيما يعطى و يحسن ولكنه لايتم الأحسان بل يعود فيكدره ويشوبه بما ينغصه كما قال الآخر

أَلدَّهْرُ آخِذُ ما أَعْطَى مُكَدِّرُ مَا اصْفَى ومُفْسِدُ ما أَهْدَى لَهُ بِيَدِ

(٥) قال ابن جنى فى يرض ضمير هو فاعل يرض يفسره من أعانا وأضمره قبل الذكر على شريطة التفسير أو تقول ان من أعانا فاعل يرض وأعانه على التنازع . ويروى لم ترض بالتاء والضمير لليالى يقول : هذا الذى أعان على الدهر كأنه لم يرض بما يصيبنى من محنه حتى أعانه على كما قال الآخر

أَعَانَ عَلَيَّ الدَّهرَ اذْ حَكَّ بَرْكَهُ* كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَّلْتَهُ بِيَ كَافِيَا*

---

* البرك كالكل البعير وصدره الذى يدوك به الشىء تحته يقال حكه بركه ومن المجاز حكت الحرب بركها بهم قال القائل يصف الحرب وشدتها

فَأَقْعَصَتْهُمْ وَحَكَّتْ بَرْكَهَا بِهِمِ وأَعْطَتِ النَّهْبَ هَيَّانَ بْنَ بَيَّانِ

وحك الدهر بركه بهم ووضع عليهم بركه قال الجعدى

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرْكَهُ فَأَرَاهُ لم يُغَادِرْ غَيْرَ فَلّ

كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً ... رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا (١)

وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ ... نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى (٢)

غَيْرَ أَنَّ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَايَا ... كَالِحَاتٍ وَلَا يُلَاقِي الْهَوَانَا (٣)

وَلَوَ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ ... لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا الشُّجْعَانَا (٤)

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ ... فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا (٥)

كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الأَنْـ ... ـفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا (٦)

قال ابن جنى : هذا البيت والذى قبله أحسن ما قيل فى الزمان وأن طباعه الشر وفعل الزمان منسوب إلى القضاء فالزمان لا يفعل شيأ وانما يفعل فيه وكذا قولهم يوم سعيد فاليوم لا يوصف بسعد وانما يوصف به من يشتمل عليه اليوم

(١) القناة عود الرمح والسنان زجه الذى يطعن به . يقول : اذا انتدب الزمان للإساءة بما جبل عليه صارت عداوة المعادى مدداً لقصده نحوك ، فجعل القناة مثلا لما فى طبع الزمان وجعل السنان مثلا للعداوة (٢) هذا نهى عن المعاداة والتحاسد لاجل مراد النفوس فان ما تريده النفوس من جاه الدنيا وحطامها أقل وأحقر من أن يعادى بعضنا بعضا لأجله (٣) كالحات عابسات . يقول . ان الحر الكريم أحب اليه الموت الكريه من أن يلقى ذلا وهوانا (٤) يقول : لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذى يتعرض للقتل أضل الناس ، يعنى أن الحياة لا تبقى وان جبن الانسان ولزم عقر داره وحرص على البقاء ثم أكد هذا بالبيت التالى (٥) يقول : اذا كان الموت لا محيص عنه ولا ينجو منه شجاع ولا جبان فان الجبن اذن من ضعف الهمة وعجزها ، قال خالد بن الوليد لما حضره الموت : فى جسدى مائة طعنة وضربة وها أنا قدمت حتف أنفى فلا أقر الله أعين الجبناء (٦) كل مبتدا من الصعب خبرها وسهل خبر ثان ويكن تامة وكذا كانا آخر البيت . يقول : انما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه فاذا وقع سهل وهان كما قال البحترى

وقال يذكر خروج شبيب العُقَيْلِيّ على الأستاذ كافور وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلثمائة

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ (١)
وَلِلّٰهِ سِرٌّ فِي عُلَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ (٢)
أَتَلْتَمِسُ الْأَعْدَاءُ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وُضُوحَ بَيَانِ (٣)

لَعَمْرُكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا ارْتِقَابُهُ وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ

والاصل فى هذا قول أعشى باهلة

لَا يَصْعُبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتَمِرُ

« وبعد » فقد وفق المتنبى فى هذه القطعة كل التوفيق ولعل شيطانه ممن كانوا يسترقون السمع فتلقى هذه الآيات من ذات الرجع ـ السماء ـ فكأنها المعنية يقول حسان بن ثابت

وَقَافِيَةٍ عَجَّتْ بِلَيْلٍ رَزِينَةٍ تَلَقَّيْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نُزُولَهَا

فلله دره (١) القمران الشمس والقمر . يقول : من عاداك دل بذلك على جهالته وسقطت منزلته عند الناس وعاداه كل أحد وذمه ، ولو كان القمران من أعدائك لصارا مذمومين مع عموم نفعهما وارتفاع منزلتهما ، قال ابن جنى : هذا المدح ينعكس هجاء . يقول : أنت رذل ساقط والساقط لا يضاهيه الا مثله وإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان كما أنك كذلك ولو عاداك القمران (٢) الهذيان التكلم بغير معقول قال ابن جنى هو من فصيح كلام العرب ولم يذكره الجوهرى ولا ابن فارس فى مجمله يقول : لله سبحانه سر فيما أعطاك من العلو والبسطة لا يطلع الناس على ذلك السر ولا يعلمون ما هو ، وما يخوض الاعداء فيه من الكلام انما هو نوع من الهذيان بعد أن أراد الله فيك ما أراد ، قال الواحدى : وهذا الى الهجاء أقرب لانه نسب علوه على الناس الى قدر جرى به من غير استحقاق والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو ويرتفع على الاقران وان كان ساقطا باتفاق من القضاء (٣) يقول : هل يطلب أعداؤك دليلا على سيادتك وعلى أن الله يريد أن يرفع قدرك على من يعاديك بعد الذى رأوه ؟ ثم ذكر ما رأوا فى البيت التالى

رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الغَدْرَ يُبْتَلَى ... بِغَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِغَدْرِ زَمَانِ (١)

بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ ... وَكَانَا عَلَى العِلَّاتِ يَصْطَحِبَانِ (٢)

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ ... رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِ (٣)

فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ ... فَإِنَّ المَنَايَا غَايَةُ الحَيَوَانِ (٤)

وَمَا كَانَ إِلَّا النَّارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ ... يُثِيرُ غُبَارًا فِي مَكَانِ دُخَانِ (٥)

فَنَالَ حَيَاةً يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ ... وَمَوْتًا يُشَهِّي المَوْتَ كُلَّ جَبَانِ (٦)

---

(١) يقول : رأى الاعداء كل من ينطوى لك على غدر أو يضمر لك خلافا غدرت به حياته فهلك قبل أن ينال منك مأربا أو غدر به الدهر فهلك بآفة تصيبه

(٢) شبيب هذا هو شبيب بن جرير العقيلى من قوم كانوا من القرامطة وكانوا مع سيف الدولة وولى شبيب معرة النعمان دهرا طويلا واجتمع اليه جماعة من العرب فوق عشرة آلاف وأراد أن يخرج على كافور وقصد دمشق فحاصرها فيقال ان امرأة ألقت عليه رحى فصرعته فانهزم من كان معه بعد أن هلك ويقال أنه حدث به صرع من شرب الخمر فتركه أصحابه ومضوا فأخذه أهل دمشق فقتلوه . يقول : انه هلك ففارق سيفه كفه وكانا لا يفترقان على العلات — أى على كل حال —

(٣) قيس من عدنان واليمن من قحطان وكان بينهما شقاق وتنازع واختلاف . يقول : كأن رقاب الناس أغرت ما بينه وبين سيفه — لكثرة قطعه اياها — لتفرق بينهما وقالت لسيفه ان شبيبا الذى يصاحبك قيسى وأنت يمنى — والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن — ففارقه سيفه لما علم أنه مخالف له فى الأصل (٤) يقول : ان يك شبيب قد هلك ومات فان الموت غاية كل حى فلا عار عليه من ذلك (٥) يقول : كان شبيب سبب الشر والفتنة وكان نارا على اعدائه غير أن دخانه غبار — غبار الحرب — وهذا ينظر الى قول الآخر

مَاوِيَّ يَا رُبَّتَمَا غَارَةٍ ... شَعْوَاءَ كَالَّذَعَةِ بِالمِيسَمِ

(٦) يقول : فنال حياة طيبة يشتهى عدوه مثلها ، يعنى أنه عاش فى عز ومنعة ثم مات موتا يشهى الموت إلى الجبناء لأنه كان موتا فى عافية لم يتقدمه ألم ولا مرض ،

نَفَى وَقْعَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ بِرُمْحِهِ وَلَمْ يَخْشَ وَقْعَ النَّجْمِ وَالدَّبَرَانِ (١)

وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مُعَارُ جَنَاحٍ مُحْسِنِ الطَّيَرَانِ (٢)

وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قِرْنٍ فِي أَذَلِّ مَكَانِ (٣)

أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانِ (٤)

هذا ويشبه لايتعدى إلى مفعولين إلا بحرف جر وقد حذفه وهو يريده فكأنه قال يشبه الموت إلى كل جبان (١) أراد بالنجم الثريا . والدبران خمسة كواكب من الثور يقال انها سنامه وهو من منازل القمر . يقول : نفى عن نفسه الرماح برمحه ، يعنى أنه كان شجاعا يقى نفسه برمحه ولكنه لم يجر فى حسبانه مناحس النجوم — والدبران من النحوس فى حكم المنجمين وزعمهم — والمعنى أنه دفع نحوس الأرض عن نفسه ولم يستطع دفع نحوس السماء التى قضت بحلول أجله (٢) الشواة جلدة الرأس وفوق شواته خبر أن ومعار خبر ثان وروى معار ومحسن على أنهما حالان . يقول : ولم يدر ان الموت قد أعير جناحا فهو يرفرف فوق رأسه ليقع عليه من علو ، وذلك فيما يقال ان امرأة أدلت على رأسه رحى من سور دمشق (٣) الأقران جمع قرن بكسر القاف وهو الكفء فى الحرب . قال الواحدى . ذكر فى قصته أنه كان يحارب أهل دمشق ويريد الغلبة عليها فسقط على الأرض وثار من سقطته فمشى خطوات فلما سار سقط ميتا ولم يصبه شىء وكثر تعجب الناس من أمره حتى قال قوم إنه كان مصروعا وأصابه الصرع فى تلك الساعة فانهزم أصحابه ، وزعم قوم أنه شرب وقت ركوبه سويقا مسموما فلما حمى عليه الحديد عمل فيه السم ، فهو قوله حتى قتلته بأضعف قرن فى أذل مكان ، يعنى فى غير الحرب وميدان القتال ، قال ابن جنى لما أنشد أبو الطيب هذا البيت بحضرة كافور قال كافور لا والله الا بأشد قرن فى أعز مكان فرواه الناس لكافور (٤) يقول : انه مات فجاءة من غير أن يستدل أحد على موته بمرئى أو مسموع كما قال يزيد المهلبى

جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِعَةٌ هَلَّا أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَالْقَنَا قِصَدُ

« قصد أى قطع جمع قصدة وهى الكسرة وتقصدت الرماح تكسرت »

وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ السِّلَاحِ لَرَدَّهَا ... بِطُولِ يَمِينٍ وَاتِّسَاعِ جَنَانِ (١)

تَقَصَّدَهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صِحَابِهِ ... عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانِ (٢)

وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشَ الْكَثِيرَ الْتِفَافُهُ ... عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانِ (٣)

وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَبِيتِ بِنَفْسِهِ ... وَلَمْ يَدِهِ بِالْجَامِلِ الْعُكَنَانِ (٤)

أَتُمْسِكُ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدُ عَاقِلٍ ... وَتُمْسِكُ فِي كُفْرَانِهِ بِعِنَانِ (٥)

وَيَرْكَبُ مَا أَرْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ ... وَيَرْكَبُ لِلْعِصْيَانِ ظَهْرَ حِصَانِ (٦)

---

(١) سلكت أى المنايا . والجنان القلب . يقول : لو أتته المنايا من طريق السلاح لدفعها عن نفسه بطول يده وسعة صدره ، يعنى ان أعداءه لو حاولوا قتله لما قدروا على ذلك لأنه بطل لا يغالب (٢) تقصده اما بمعنى قصده واما بمعنى اقصده أى قتله . والمقدار القدر والمراد القضاء . يقول: قصده القضاء أو أهلكه وهو بين أصحابه واثق بالحياة آمن من الموت (٣) التفافه فاعل الكثير وعلى غير متعلق به ، والالتفاف الاجتماع يقال التف عليه الناس اذا ازدحموا حوله والاستفهام للانكار . يقول : ان الجيش الكثير لا ينفع من لم يكن منصوراً من قبل الله سبحانه وتعالى معانا بتأييده كما لم ينفع شيبا كثرة أصحابه (٤) ودى من الدية أى أعطى الدية وهى ثمن الدم . والمبيت الليل . والجامل اسم لجماعة الجمال كالباقر اسم لجماعة البقر . والعكنان الابل الكثيرة يقول : ادى بنفسه دية من قتل من الناس قبل دخول الليل عليه ولم يؤد الدية بالابل ، يريد انه بهلاكه كأنه اقتص منه فكانت نفسه دية عن الذين قتلهم (٥) أوليته أعطيته . وقوله وتمسك لك أن تقرأه منصوباً باضمار أن . والعنان سير اللجام . وهذا استفهام معناه الانكار . يقول : ان العاقل لا يجمع بين امساك ما أعطيته من النعم وامساك العنان فى الكفران ، لأن من كان عاقلا لم يكفر نعمة المنعم عليه ، وهذا اشارة الى أن شيبا كفر نعمة كافور فصرعه شؤم الكفران حتى هلك ، وقال ابن جنى . يقول : اذا كفر نعمتك من أحسنت اليه لم يقبض يده على عنانه تخاذلا وحيرة (٦) البيت عطف على ماقبله فهو فى معناه يقول : وهل يركب عاقل مثل الكرامة التى أركبتها شيباً ثم يركب حصانه لعصيان من أكرمه ؟ أى لا يجتمع لأحد اكرامك ومعصيتك

ثَنى يَدَهُ الْإِحْسَانُ حَتّى كَأَنَّهَا وقَدْ قُبِضَتْ كانَتْ بِغَيْرِ بَنَانِ (١)

وعِنْدَ مَنِ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ شَبِيبٌ وأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانِ (٢)

قَضَى اللهُ يَا كافُورُ أَنَّكَ أَوَّلٌ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِ (٣)

فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقِسِيَّ وَإِنَّمَا عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقَلَانِ (٤)

وَمَالَكَ تُعْنَى بِالْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بِغَيْرِ سِنَانِ (٥)

ولِمْ تَحْمِلُ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِجَادُهُ وأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ (٦)

---

(١) ثنى يده ردها ، والبنان أطراف الاصابع ، قال ابن جنى : ملئت يده بالاحسان حتى ثناها الى ورائها كأنها كانت لما قبضت ما وهبت لم يكن لها بنان يطبقها على الموهوب فأرسلته ، وقال الواحدى : احسانك اليه رديده عما امتدت فيه حتى كأنها وهى مقبوضة لم تبسط فيما أراد كانت بغير بنان لان القبض يحصل بالبنان فاذا كانت اليد بغير بنان لم يحصل القبض وكأنها مقبوضة حين لا تقدر على القبض والانبساط ومن روى قبضت باسناد الفعل الى اليد كان المعنى ان يده وان كانت قابضة لما صرفت عما قصدت له صارت كأنها بغير بنان وغير قابضة (٢) عند من استفهام معناه الانكار وهو خبر مقدم ووفاء مبتدا مؤخر . أى ليس عند أحد اليوم وفاء لصاحب . وشبيب مبتدا وأوفى عطف عليه واخوان خبر . يقول : ليس من يفى لصاحبه اليوم ؛ أى لاوفاء اليوم عند أحد فأن أوفى من ترى غادر كشبيب وهما اخوان فى الغدر

(٣) قال الواحدى : هذا من أجود ما مدح به ملك . يقول : قضى الله أنك أول فى المكارم والمعالى ولم يسبقك أحد الى ما سبقت اليه ولم يقض أن يلحقك أحد أو يكون لك مثل فيكون ثانيك (٤) القسى جمع قوس . والثقلان الانس والجن . أنكر عليه اختيار القسى لرمى أعدائه بها . يقول : لا حاجة لك باستجادة القسى لترمى بها أعداءك فان أعداءك أ كانوا من الانس أم من الجن يرمون عن قوس سعادتك ، أى ان قسى سعادتك ترميهم عنك فيهلكون بالآفات تصيبهم واذن لا تحتاج الى اتخاذ السلاح (٥) عنى بالشىء بصيغة المجهول اهتم به . والاسنة جمع سنان . والقنا الرماح . والجد الحظ . والبيت فى معنى البيت الأول . يقول : لم تعنى باد خار الاسنة والرماح وحظك يطعن أعداءك فيقتلهم بغير سنان (٦) النجاد حمالة السيف ونجاده فاعل الطويل واذا وصف النجاد بالطول

أَرِدْلِي جَمِيلاً جُدْتَ أَوْلَمْ تَجُدْ بِهِ فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي (١)
لَوِ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ (٢)

ونظر يوما الى كافور فقال

لَوْ كَانَ ذَا الآكِلُ أَزْوَادَنَا ضَيْفاً لَأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانَا (٣)
لَكِنَّنَا فِي الْعَيْنِ أَضْيَافُهُ يُوسِعُنَا زُوراً وَبُهْتَانَا (٤)

دل على طول حامله . والحدثان حوادث الدهر ونوائبه . يقول: أنت مستغن بحوادث الدهر عن استعمال السيف فى قتل أعدائك . يشير فى هذه الابيات كلها الى مصرع شبيب حين خرج عليه — دون أن يكون هلاكه بشيء من السلاح (١) يقول : ان المقدار جار بحكمك فاذا أردت شيأ كان واذا أردت أن تعطينى شيأ وصل الى وان لم تجد به ، يعنى ان القدر موافق لارادته فاذا أراد به خيرا أتاه ذلك وان لم يجد به عليه وهذا من قول أبى تمام

فالدَّهرُ يَفعلُ صَاغِرًا مَا تَأْمُرُهْ

(٢) الفلك يروى بالنصب والرفع والنصب أجود وهو منصوب بفعل محذوف بعدلو يؤخذ من لازم الفعل المذكور أى لو استوقفت الفلك الدوار ونحوه . يقول : لو كرهت دوران الفلك لحدث له شيء يمنعه عن الدوران ، يريد المبالغة فى قوة سعده ومؤاتاة الاقدار لمراده وهو المعنى الذى تحور اليه أكثر هذه الابيات ، قال الواحدى : هذه الابيات ليس فى معناها مثل لها (٣) الأزواد جمع زاد وهو طعام المسافر . يقول: هذا الذى يأكل زادى لو كان ضيفا لى لأكثرت من الاحسان اليه أى لو أتانى وقصدنى ضيفا لأحسنت اليه ، وهذا كما قال أيضا

جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي

قال الواحدى : ولأكل زاده وجهان أحدهما أن المتنبى أتاه بهدايا وألطاف ولم يكافئه عنها والآخر أن المتنبى يأكل عنده من خاص ماله وينفق على نفسه مما حمله وهو يمنعه من الارتحال فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث اليه شيأ ومنعه من الطلب

(٤) يقول : نحن فى الظاهر اضيافه لأنا أتيناه غير أنه لا يعطينا قرى غير الزور والبهتان والمواعيد الكاذبة

فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا طُرُقَنَا أَعَانَهُ اللهُ وَإِيَّانَا (١)

وكتب الى يوسف بن عبد العزيز الخزاعى فى بُلْبَيْس يطلب منه دليلا فأنفذه اليه

جَزَى عَرَبًا أَمْسَتْ بِبِلْبَيْسَ رَبُّهَا بِمَسْعَاتِهَا تَقْرَرْ بِذَاكَ عُيُونُهَا (٢)

كَرَاكِرَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ سَاهِرًا جُفُونُ ظُبَاهَا لِلْعُلَا وَجُفُونُهَا (٣)

وَخَصَّ بِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ يُوسُفٍ فَمَا هُوَ إِلَّا غَيْثُهَا وَمَعِينُهَا (٤)

(١) يقول متمنيا : — ليته أطلقنا ! ثم قال : أعانه الله على تخليـة طرقنا واطلاقنا وأعاننا الله على الذهاب والرحيل من عنده

(٢) بلبيس هوذلك البلد الذى بمصر . والمسعاة المكرمة واحدة المساعى وهى الامور التى تسعى لها الـكرام وتقرر جواب الدعاء وقرت عينه تقر هذه هى اللغة الاعلى أعنى فعلت تفعل وزان طربت تطرب ومعناها بردت وانقطع بكاؤها واستحرارها بالدمع وذلك كناية عن السرور لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة . يقول : جزى رب العرب العرب التى أمست بهذه البقعة جزاء يقابل مسعاتها لتقر عيونها بذلك الجزاء

(٣) كراكر بدل من عرب والكراكر الجماعات الواحدة كركرة بكسر الـكاف وهى الجماعة من الناس . وقيس بن عيلان قبيلة . وساهرا نعت سببى لـكراكر . وجفون ظباها فاعل ساهرا والظبى جمع ظبة وهى حد السيف والمراد السيوف انفسها وجفون الظبى جمع جفن وهو الغمد يقول :هؤلاء العرب جماعات من قيس لاتزال جفونهم ساهرة فى طلب العلى وجفون سيوفهم خالية من نصالها لأن سيوفهم لاتزال مسلولة قال ابن جنى لما وصف جفونهم بالسهر فى طلب العلى وصف جفون سيوفهم بالسهر لتجانس القول يريد أنها قد فقدت نصولها فكأنها ساهرة مع جفون عيونهم فى طلب المعالى والفخار فاستعار لها السهر لما ذكر جفون العين وقد الم بهذا بعض المحدثين فقال

وَطَالَمَا غَابَ عَنْ جَفْنِي لِزَوْرَتِهَا وَجَفْنُ سَيْفِي غِرَارُ السَّيْفِ وَالْوَسَنِ

(٤) الضمير فى به يعود على الجزاء . والغيث المطر . والمعين الماء الجارى . يقول : وخص بهذا الجزاء هذا الرجل الذى هو أفضلهم وسيدهم فهو بينهم كالغيث وكالمعين لا حياة لهم بدونه

فتًى زَانَ فِى عَيْنَىَّ أَقْصَى قَبِيلِهِ وَكَمْ سَيِّدٍ فى حِلَّةٍ لاَ يَزِينُهَا[1]

وقال يمدح عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف

ويذكر طريقه بشعب بوّان

مَغَانِى الشِّعْبِ طِيبًا فِى المَغَانِى بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ[2]

وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِىَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ[3]

مَلاَعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانُ لَسَارَ بِتُرْجُمَانِ[4]

---

(١) القبيل الجماعة . والحلة الجماعة يحلون بالمكان . يقول : هو زين عشيرته ورهطه وان تباعدوا عنه فى النسب . أما غيره من السادة فليس بهذه الصفة (٢) المغانى جمع مغنى والمغنى المنزل الذى غنى — أقام — به أهله ثم ظعنوا عنه . والشعب المنفرج بين جبلين والمراد هنا شعب بوان وهو موضع عند شيراز كثير الشجر والمياه يعد من جنان الدنيا . قال أبو بكر الخوارزمى: متنزهات الدنيا أربعة مواضع غوطة دمشق ونهر الأبلة وشعب بوان وصغد سمرقند. وطيبا تمييز . يقول : منازل هذا المكان فى المنازل كالربيع فى الأزمنة ، يعنى أنها تفضل سائر الأمكنة طيبا كما يفضل الربيع سائر الأزمنة (٣) يعنى بالفتى العربى نفسه . يقول : إنى بها غريب الوجه لا أعرف أو لانه اسمر اللون اذ غالب ألوان العرب السمرة وأهل الشعب شقر الوجوه ، وغريب اليد — أى لا ملك له فى هذه البقعة فيده أجنبية فيها . أو لأن سلاحه الرمح ويده تستعمل الرمح أما أسلحة أهل الشعب التى يستعملونها بأيديهم فهى الرايات والمزاريق ، أو لأنه يكتب بالعربية وهؤلاء يكتبون بالفارسية ، وغريب اللسان لأن لغتى العربية وهؤلاء عجم لا يفصحون (٤) الجنة الجن . والترجمان بفتح التاء وضمها . قال الواحدى : جعل الشعب لطيبه وطرب أهله ملاعب وجعل أهله جنة — جنا — لشجاعتهم فى الحرب والعرب اذا بالغت فى مدح شىء نسبته الى الجن كقول الشاعر

بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ

طَبَتْ فُرْسَانَنَا وَالْخَيْلَ حَتَّى ... خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمْنَ مِنَ الْحِرَانِ (١)

غَدَوْنَا تَنْفُضُ الْأَغْصَانُ فِيهَا ... عَلَى أَعْرَافِهَا مِثْلَ الْجُمَانِ (٢)

فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبْنَ الشَّمْسَ عَنِّي ... وَجِئْنَ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي (٣)

وأخبر أن لغتهم بعيدة عن الافهام حتى لو أن سليمان أتاهم لاحتاج الى من يترجم له عن لغتهم مع علمه باللغات وفهمه قول الحكل *

(١) طباه يطبوه ويطبيه طبيا وطبوا اذا دعاه قال ذو الرمة

ليالِيَ اللَّهو يَطْبِينِي فأتْبَعُهُ ... كأنني ضَارِبٌ فِي غَمرَةٍ لَعِبُ

« أى يدعونى اللهو فأتبعه » ويقال اطباه على افتعله فقلبت التاء طاء وأدغمت وفى حديث ابن الزبير : ان مصعبا اطبى القلوب حتى ما تعدل به : أى تحبب الى قلوب الناس وقربها منه . وقال كثير

* لهُ نَفَلٌ لاَ يَطَّبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا *

والحران فى الدواب أن تقف ولا تبرح المكان . يقول : ان هذه المغانى استمالت قلوبنا وقلوب خيلنا بخصبها وطيبها حتى خشيت عليها الحران وأن تقف بها فلا تبرح ميلا اليها وان كانت خيلنا كريمة لا يعروهاهذا الداء — داء الحران —

(٢) اعرافها جمع عرف وهو الشعر الذى على ناصية الفرس .والجمان حب من فضة يشبه اللالىء . يقول : سرنا بين أشجار هذه المغانى صباحاً وقد تساقط الندى من أغصانها على أعراف خيلنا كأنه الجمان فكأن الاغصان تنفضه على اعرافها ، والذى يؤخذ من الواحدى ويدل عليه البيت التالي ان الذى يقع على أعراف الخيل من خلل الاغصان مثل الجمان هو ضوء الشمس لا الندى (٣) يقول : انه كان يسير فى ظل

☆ الحكل من الحيوان مالا يسمع له صوت كالذر والنمل قال

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً ... تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سِوَادُهَا

وقيل الحكل العجم من الطيور والبهائم قال العجاج

فَقُلْتُ لَوْ عُمِّرْتُ عُمْرَ الْحِسْلِ ... وَقَدْ أَتَاهُ زَمَنُ الْفِطَحْلِ

وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِينِ الْوَحْلِ ... أَوْ كُنْتُ قَدْ أُوتِيتُ عِلْمَ الْحُكْلِ

عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ ... كُنْتَ رَهِينَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلِ

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِى ثِيَابِى ... دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ (١)

لَهَا ثَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهَا ... بِأَشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بِلَا أَوَانِ (٢)

وَأَمْوَاهٌ تَصِلُّ بِهَا حَصَاهَا ... صَلِيلَ الْحَلْىِ فِى أَيْدِى الْغَوَانِى (٣)

وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقُ ثَنَى عِنَانِى ... لَبِيقُ الثُّرْدِ صِينِيُّ الْجِفَانِ (٤)

الاغصان وانها تحجب عنه حر الشمس وتلقى عليه من الضياء مايكفيه

(١) الشرق المشرق وهو أيضا الضوء والشمس يقال طلع الشرق ولا يقال غرب الشرق وهو المراد هنا والبنان أطراف الاصابع يقول : كما قال التبريزى : ان هـذا الشجر كثير الورق ملتف فضوء الشمس يدخـل من خلله فيكون على الثياب كأنه الدنانير الا أنه يفر من البنان وليست الدنانير كذلك ، وهو معنى لم يسبق اليه

(٢) أوانى جمع آنية جمع اناء . يقول:ان ثمـار هذه الاغصان رقيقة القشر فهى تشير الى الناظر بأشربة — جمع شراب — واقفـة بلا اناء لأن ماءها يرى من وراء قشرها كما يرى المـاء فى الزجاج ، يعنى ان هذه الثمار كأنها أشربة قائمة بنفسها ليس لها أوعية تمسكها ، وهذا المعنى منقول من قول البحترى :

يُخْفِى الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا ... فِى الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءِ

(٣) تصل تصوت وحصاها فاعل تصل وبها أى بتلك الامواه يعنى بجريها وروى ابن جنى لها أى لأجلها أى لأجل جريها . والحلى مايلبسه النساء من الذهب والفضة والجوهر . والغوانى جمع غانية المرأة التى غنيت بحسنها . شبه الامواه فى اندماجها وصفاء لونها بمعاصم الحسان وما يصل بها من الحصى بالحلى الذى يلبس فى المعاصم — جمع معصم وهو موضع السوار — (٤) . يقال : ثنى عنانه اذا رده عن عزمه والعنان فى الاصل سير اللجام . واللبيق الحاذق الرفيق بما يعمله كاللبق . والثرد جمع ثريد وهو الخبز يفت ويبل بالمرق وروي ابن جنى بفتح الثاء على المصدر قال يريد به الثريد والجفان جمع جفنة وهي القصعة وصينى الجفان أي أن جفانه صينية يقول : لوكانت هذه المعانى الطيبة دمشق أى لو كنت فى غوطة دمشق مكان شعب بوان لثنى عنانى اليه رجل جيد الثريد ذو قصاع صينية يعنى لأضافنى هناك رجل ذو مروءة يحسن الى الضيفان لأنها — دمشق — من بلاد العرب وشعب بوان من بلاد العجم ، وقال ابن جنى —

يَلَنْجُوجِيٌّ مَارُفِعَتْ لِضَيْفٍ بِهِ النِّيرَانُ نَدِّيُّ الدُّخَانِ (١)
تَحِلُّ بِهِ عَلَى قَلْبٍ شُجَاعٍ وَتَرْحَلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبٍ جَبَانِ (٢)
مَنَازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا خَيَالٌ يُشَيِّعُنِي إِلَى النُّوبَنْذَجَانِ (٣)

لوكانت هذه المعانى كغوطة دمشق فى الطيب لرغبت عنها وملت الى هذا الممدوح الذى ثرده لبيق وجفانه صينية لانه ملك وليس هو من أهل البادية ،قال الواحدى : وليس الامر على ما قال — أى ابن جنى — لأن البيت ليس بمخلص ولم يذكر الممدوح بعد والمعنى أنه يبين فضل دمشق وأهلها واحسانها الى الضيفان وخص دمشق من سائر البلدان لان شعب بوان مضاه لغوطة دمشق فى الطيب وكثرة المياه والاشجار

(١) يلنجوجى نسبة الى اليلنجوج وهو العود الذى يتبخر به وما موصولة ورفعت النار شبت وبه متعلق برفعت والضمير لما . وندى نسبة إلى الند وهو ضرب من الطيب يدخن به قال أبو عمرو بن العلاء يقال للعنبر الند وقال غيره هو ضرب من الدخنة . يقول :ان هذا الرجل يوقد النيران للأضياف بالعود اليلنجوجى ودخانه طيب تشم منه رائحة الند (٢) أضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت ولعل أحسنها ما ذهب اليه الواحدى قال : تحل به أنت أيها الرجل — أى تنزل بهذا الرجل الذى وصفه بما تقدم — على قلب شجاع جريىء على الاطعام والقرى غير بخيل لأن البخل جبن وهو خوف الفقر وترحل منه عن قلب جبان خائف فراقك وارتحالك ، وقال ابن جنى المعنى:يسر بأضيافه فتقوى نفسه بالسرور فاذا ارتحلوا عنه اغتم فضعفت نفسه .فالقلبان على هذا وعلى ما ذهب اليه الواحدى قلبا المضيف ، وقال ابن فورجه . كأنه — أى ابن جنى — يظن انهما قلبا عضد الدولة ولو أراد — المتنبى — ما قال لقال تحل به على قلب مسرور وترحل منه عن قلب مغموم فاما الشجاعة والجبن فلهما معنى غير ما ذهب اليه — أى ابن جنى — وانما يريد — المتنبى — انك اذا حللت به كنت ضيفا له وفى ذمامه فأنت شجاع القلب لا تبالى بأحد ، وتفارقه ولا ذمام لك فانت جبان تخشى من لقيك ومثله له

وإِنَّ نُفُوساً أَمَّتْكَ مَنِيعَةٌ

فالقلبان فى البيت قلبا من يحل ويرحل أى قلبا الضيف

(٣) نوبنذجان بلد بفارس. ويشيعنى يتبعنى . قال الواحدى : يريد أنه يرى دمشق

إِذَا غَنَّى الْحَمَامُ الْوُرْقُ فِيهَا ... أَجَابَتْهُ أَغَانِيُّ الْقِيَانِ (١)

وَمَنْ بِالشِّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ ... إِذَا غَنَّى وَنَاحَ إِلَى الْبَيَانِ (٢)

وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا ... وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ (٣)

يَقُولُ بِشِعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي ... أَعَنْ هَذَا يُسَارُ إِلَى الطِّعَانِ (٤)

أَبُوكُمْ آدَمٌ سَنَّ الْمَعَاصِي ... وَعَلَّمَكُمْ مُفَارَقَةَ الْجِنَانِ (٥)

فَقُمْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا شُجَاعٍ ... سَلَوْتُ عَنِ الْعِبَادِ وَذَا الْمَكَانِ (٦)

فى النوم وهو بفارس فخيال منازل دمشق يتبعه،والمعنى أنه يحب دمشق ويكثر ذكرها ويحلم بها ، قال : ويجوز أن يريد خيال حبيب له بدمشق ونواحيها يأتيه فى منامه

(١) الورق جمع ورقاء وهى التى فى لونها بياض الى سواد . والقيان جمع قينة وهي الجارية المغنية يريد لطيبها اجتمعت أصوات الحمام والقيان بها يجاوب بعضها بعضا

(٢) يقول : ان أهل الشعب ــ شعب بوان ــ وقطانه احوج إلى البيان من حمامه فى غنائه ونوحه لأنهم أعاجم لابيان لهم ولافصاحة فلا يفهم العرب كلامهم ، يريد التنظير بين غناء هؤلاء وغناء قيان دمشق وهو تفضيل آخر لدمشق على شعب بوان ، هذا واخبر عن الحمام بالغناء والنوح لأن العرب تشبه صوت الحمام مرة بالغناء لانه يطرب ومرة بالنوح لانه يشجى ونوح الحمام وغناؤه مذكوران فى أشعارهم

(٣) يقول : ان العجمة تجمع الحمام وأهل الشعب والموصوف بها مختلف لأن الانسان غير الحمام فأهل الشعب بعدوا بالانسانية عن الحمام ولكن وصفهما فى الاستعجام وعدم الافصاح متقارب (٤) يقول : ان فرسى يقول لى حين رأى شعب بوان وطيب الاقامة به ــ منكرا على السير منه إلى الحرب ــ أعن هذا المكان يسار إلى الطعان والنزال ؟ والاستفهام معناه هنا الانكار ، والمراد ان فرسه لو نطق لقال ذلك

(٥) يقول :انما تفعلون ذلك اقتداء بأبيكم آدم حين عصى ربه فأخرج من الجنة فهو الذى سن لكم ركوب المعاصى ومفارقة مواطن النعيم بسببها . قال الواحدى وانما ذكر هذا لكى يتخلص إلى ذكر الممدوح فيقول هذا المكان وان طاب فانى لم أعرج به عما كان سبيلى اليه (٦) أبو شجاع كنية عضد الدولة . يقول : ــ مجيبا فرسه ــ : انما أغادر هذا المكان لانى أقصد أبا شجاع الذى متى رأيته نسيت الناس طرا ونسيت

فإنَّ النَّاسَ وَالدُّنْيَا طَرِيقٌ ... إلى مَنْ مَالَهُ فى النَّاسِ ثَانِ (١)

لَقَدْ عَلَّمْتُ نَفْسِى الْقَوْلَ فِيهِمْ ... كَمُتَعَلِّمِ الطِّرَادِ بِلاَ سِنَانِ (٢)

بِعَضْدِ الدَّوْلَةِ امْتَنَعَتْ وَعَزَّتْ ... وَلَيْسَ لِغَيْرِ ذِى عَضُدٍ يَدَانِ (٣)

وَلاَ قَبْضٌ عَلَى الْبِيضِ الْمَوَاضِى ... وَلاَ حَظٌّ مِنَ السُّمْرِ اللِّدَانِ (٤)

دَعَتْهُ بِقَفْزِ الْأَعْضَاءِ مِنْهَا ... لِيَوْمِ الْحَرْبِ بِكْرٍ أَوْ عَوَانِ (٥)

هذا المكان مع جماله وطيبه لأنى أجد عنده مايسلينى عن كل شىء (١) يقول : ان الناس كلهم يتركون فى القصد اليه وكذلك جميع الدنيا (٢) الطراد أن يحمل بعض الفرسان على بعض فى الحرب . والسنان نصل الرمح . يقول : علمت نفسى القول فى الناس بالشعر فى مدائحهم كما يتعلم الطعان أولا بغير سنان ليصير المتعلم ماهرا بالطعان بالسنان ، كذلك انا تعلمت الشعر فى مدح الناس لأتدرج إلى مدحه وخدمته ، وقوله لقد علمت يروي له علمت أى لأجله وذلك أظهر فى المعنى (٣) قال الواحدى : أى أن الدولة امتنعت بعضدها وعزت ولا يد لمن لاعضد له ولا يدفع عن نفسه من لا يد له والمعنى أنه للدولة يد وعضد به تدفع عن نفسها ، قال ابن جنى . يعرض بدولة غيره من الملوك التى لايذب عنها ولا يحميها وأودع كلامه رمزا خفيا وتعريضا بجميع من لا عضد له دولة كان أو انسانا بقوله وليس لغير ذى عضديدان (٤) البيض السيوف . والمواضى القواطع . والسمر الرماح . واللدان جمع لدن وهو اللين المثنى . يقول : من لم يكن له يدان لم يقبض على السيوف ولم يطعن بالرماح لأنه لايتأتى له ذلك ، يعنى ان غيره لايقوم مقامه فى الدفع عن الدولة لأنه عضدها ومن لاعضد له لايد له ومن لايد له لم يضارب ولم يطاعن ، هذا وقوله ولاحظ يروى ولا حط بالطاء المهملة وهو خفض الرماح بالطعن (٥) قوله بكر صفة لموصوف محذوف كأنه قال ليوم الحرب حرب بكر أو عوان . والحرب العوان التى قوتل فيها مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا وقوله بقفز الأعضاء رواها ابن جنى بموضع الاعضاء وقال أى دعته السيوف بمقابضها والرماح بأعقابها لانها مواضع الأعضاء منها وحيث يمسك الطاعن والضارب ، قال ويحتمل أن يريد دعته الدولة بمواضع الاعضاء من السيوف والرماح أى اجتذبته واستمالته ، قال ابن فورجه : هذا — ماذهب اليه ابن جنى — مسخ للشعر لاشرح له

فَمَا يُسْمِي كَفَنًّا خُسْرَ مُسْمٍ ... وَلَا يُكْنِي كَفَنًّا خُسْرَ كَانِي (١)

وَلَا تُحْصَى فَضَائِلُهُ بِظَنٍّ ... وَلَا الإِخْبَارِ عَنْهُ وَلَا العِيَانِ (٢)

أُرُوضُ النَّاسِ مِنْ تُرْبٍ وَخَوْفٍ ... وَأَرْضُ أَبِي شُجَاعٍ مِنْ أَمَانِ (٣)

تُذِمُّ عَلَى اللُّصُوصِ لِكُلِّ تَجْرٍ ... وَتَضْمَنُ لِلصَّوَارِمِ كُلَّ جَانِي (٤)

وما قال الشاعر إلا بمفزع الاعضاء يعنى دعته الدولة عضدا والعضد مفزع ـ ملجأ ـ الاعضاء كأنه شرح قوله بعضد الدولة امتنعت وعزت ، قال الواحدى وهو على ماقال ـ ابن فورجه ـ يريد أن الدولة سمته عضدها وهى ـ العضد ـ مفزع الاعضاء لان الأعضاء عند الحرب تفزع إلى العضد والعضد هى الدافعة عنها الحامية لسائر الأعضاء وحاصل المعنى أن الدولة دعته بعضدها وهو ملجأها الذى تدخره لأيام الحروب

(١) أسماه وسماه بمعنى يقول . أنه لا نظير له فلا يدعى أحد باسم ولا بكنية هو مثله ، فالمسمى الداعى بالاسم والكانى الداعى بالكنية (٢) يقول : إن فضائله لايحيط بها الظن على اتساعه ولا يستوفيها الاخبار ولا تستقصى بالمشاهدة والعيان لكثرتها ، وقوله عنه قال الواحدى كان حقه أن يقول عنها لكنه علقه به لاقامة الوزن أراد ولا الأخبار عنه بها (٣) أروض جمع أرض قالوا وهذا الجمع قياس لاسماع فقد نص سيبويه على أن العرب لا تجمع الأرض جمع تكسير ، قال : واستغنوا عن تكسيرها بأرضات وأرضين ، وحكى أبو زيد فى جمع أرض أروض . والمراد بالناس ههنا الملوك . يقول : أن أرض غيره من الملوك مخلوقه من التراب والخوف معا لأن الخوف ملازم لها لايفارقها فكأنها خلقت منه كما خلقت من التراب ، وهذا كقوله تعالى خلق الانسان من عجل لما كان فى أكثر أحواله عجلا صار كأنه مخلوق من عجلة ـ وأرض الممدوح كأنها مخلوقة من الأمان المزوم الامن لها ، والمعنى أن أحدا لايعيث فى نواحى مملكته هيبة له وخوفا منه (٤) تذم أى الأرض وفى رواية يذم أى الممدوح واذم له أعطاه الذمام وهو العهد والجوار . والتجر جماعة التجار كالشرب لكن المتنبى اجرى التجر مجرى الواحد ذهابا إلى أنه واحد التجار . يقول : إن أرض هذا الممدوح تحير كل تاجر من اللصوص فلا يخافون اللصوص إذ لا يستطيعون العدوان على أحد هيبة وخوفا من الممدوح ، وهى تضمن لسيوف الممدوح كل من يجنى جناية أن يكون طعمة لها اذ لا ينجو من يده

إِذَا طَلَبَتْ وَدَائِعَهُمْ ثِقَاتٍ ... دُفِعْنَ إِلَى المَحَانِي وَالرِّعَانِ (١)

فَبَاتَتْ فَوْقَهُنَّ بِلاَ صِحَابٍ ... تَصِيحُ بِمَنْ يَمُرُّ أَمَا تَرَانِي (٢)

رُقَاهُ كُلُّ أَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ ... لِكُلِّ أَصَمَّ صِلٍّ أَفْعُوَانِ (٣)

وَمَا تُرْقَى لُهَاهُ مِنْ نَدَاهُ ... وَلاَ المَالُ الْكَرِيمُ مِنَ الهَوَانِ (٤)

حَمَى أَطْرَافَ فَارِسَ شَمَّرِيٌّ ... يَحُضُّ عَلَى التَّبَاقِي بِالتَّفَانِي (٥)

---

(١) الثقات الذين يوثق بهم . والمحانى جمع محنية منعطف الوادى . والرعان جمع رعن أنف الجبل . يقول : إن ودائع التجار اذا تركت فى محانى الأودية ورعان الجبال فكأنها عند ثقات أمناء ، يعنى اذا تركوها فى هذه الأماكن أمنوا ولم يخافوا عليها أحدا لأن هيبة الممدوح تحميها فلا يجرؤ أن يمسها أحد (٢) يقول : باتت بضائع التجار فوق المحانى والرعان ظاهرة للناظرين وكأنها تقول لمن مر بها أما ترانى ؟ يعنى أنها لاحرز دونها وليس هناك من يحفظها ويحرسها غير هيبته فلا يجسر من يمر بها أن يمد يده اليها وان لم ير عندها أحدا (٣) الأبيض السيف . والمشرفى نسبة إلى مشارف وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف . والصل ضرب من الحيات خبيث يشبه بها الرجل اذا كان داهيا نكرا فيقال ان فلانا لصل أصلال . والافعوان ذكر الأفعى . جعل اللصوص كالأفاعى وجعل سيوفه رقى — جمع رقية — لتلك الأفاعى فكما أن الحية يدفع اذاها بالرقية كذلك هو يدفع عادية اللصوص بسيوفه

(٤) اللهى جمع لهية وهي العطية ، يقول : مع أنه يرقى أموال التجار من أفاعى اللصوص فان عطاياه لا ترقى من جوده وبذله ولا ماله الكريم من هوانه لأن جوده يبددها ويهب أمواله فتبتذل فى أيدى الناس (٥) شمرى جاد مشيح فى الامور كثير التشمير والاستكماش فيها . وأراد بالتباقى البقاء وبالتفانى الفناء يقول : إن الممدوح رجل شمرى حمى بلاد فارس بمضائه يقول لأصحابه افنوا انفسكم فى الحرب ليبقى ذكركم فكأنكم باقون ببقائه . وقال العروضى ان المعنى حمى فارس بقتل اللصوص فاعتبر غيرهم فلم يؤذوا الناس ولم يستحقوا القتل فبقوا ، يعنى أنه اذا قتل أهل العيث والفساد كان فى ذلك زجر لغيرهم فيصير ذلك حثا لهم على اغتنام التباقى ، فيكون هذا من قبيل قوله تعالى — ولكم فى القصاص حياة — ولكن يدل على المعنى الاول البيت التالى

بِضَرْبٍ هَاجَ أَطْرَابَ المَنَايَا ... سِوَى ضَرْبِ المَثَالِثِ وَالمَثَانِى (١)

كَأَنَّ دَمَ الجَمَاجِمِ فِى العَنَاصِى ... كَسَا البُلْدَانَ رِيشَ الحَيْقَطَانِ (٢)

فَلَوْ طُرِحَتْ قُلُوبُ العِشْقِ فِيهَا ... لَمَا خَافَتْ مِنَ الحَدَقِ الحِسَانِ (٣)

وَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ شِبْلَىْ هِزَبْرٍ ... كَشِبْلَيْهِ وَلَا مُهْرَىْ رِهَانِ (٤)

أَشَدَّ تَنَازُعًا لِكَرِيمِ أَصْلٍ ... وَأَشْبَهَ مَنْظَرًا بِأَبٍ هِجَانِ (٥)

---

(١) الاطراب جمع طرب والمثالث والمثانى من أوتار العود جمع مثلث ومثنى وهما الوتر الثالث والثانى . يقول : حمى أطراف فارس بضرب يطرب المنايا فيحركها لكثرة من يقتله وذلك الضرب غير ضرب العود الذى من شأنه أن يطرب ويهيج الشوق ، يعنى أنه يضرب بالسيوف ولا يميل الى ضرب العود وما اليه (٢) العناصى جمع عنصوة وزان ترقوة وهى الشعر المتفرق فى الرأس قال أبو النجم

إِنْ يَمْسِ رَأْسِى أَشْمَطَ العَنَاصِى ... كَأَنَّمَا فَرَّقَهُ مُنَاصِى

عَنْ هَامَةٍ كَالحَجَرِ الوَبَّاصِ

« الوباص البراق » والحيقطان ذكر الدراج وهو طائر شبيه بالحجل وأكبر منه أرقط بسواد وبياض قصير المنقار . يقول : أن جماجم الأعداء الذين أعمل فيهم سيفه كانت تطير وشعورها المتلطخة بالدماء تنثر على وجه البلدان فكأن دماءهم قد كست البلدان ريش هذا الطائر الكثير الألوان (٣) قلوب العشق أى قلوب أهل العشق يقول : ان الأمن عم بلاد فارس حتى لو كانت قلوب العشاق فيها لما خشيت سهام أحداق الحسان ، وهو معنى غريب (٤) الشبل ولد الأسد والهزبر من أسماء الأسد والمهر الحدث من الخيل . والرهان السباق . يقول : لم أر فى الناس مثل ولديه اللذين هما كشبلى أسد فى الشجاعة ومهرى رهان فى المسابقة الى غاية الكرم

(٥) أشد صفة لمهرى رهان . والهجان الخالص الكريم . يقول : لم أر قبلهما ولدين أشد تنازعا أى تجاذبا لأصل كريم يعنى ان كل واحد منهما يجاذب صاحبه كرم الأصل فيريد أن يكون اكرم من صاحبه بأن يكون حظه أوفر من حظ صاحبه فى الكرم ،

وَأَكْثَرَ فِي مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعًا ... فُلَانٌ دَقَ رُمْحًا فِي فُلَانِ (١)

وَأَوَّلُ رَأْيَةٍ رَأَيَا الْمَعَالِي ... فَقَدْ عَلِقَا بِهَا قَبْلَ الْأَوَانِ (٢)

وَأَوَّلُ لَفْظَةٍ فَهِمَا وَقَالَا ... إِغَاثَةُ صَارِخٍ أَوْفَكُّ عَانِ (٣)

وَكُنْتَ الشَّمْسَ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ ... فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مِنْهَا اثْنَتَانِ (٤)

وَعَاشَا عِيشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا ... بِضَوْئِهِمَا وَلَا يَتَحَاسَدَانِ (٥)

وَلَا مَلَكَا سِوَى مُلْكِ الْأَعَادِي ... وَلَا وَرِثَا سِوَى مَنْ يَقْتُلَانِ (٦)

وَكَانَ ابْنَا عَدُوٍّ كَاثَرَاهُ ... لَهُ يَاءَيْ حُرُوفِ أُنَيْسِيَانِ (٧)

ولم أر ولدين أشبه منهما بأب كريم خالص النسب (١) الضمير فى مجالسه يعود إلى اب . وجملة فلان دق رمحا فى فلان حكاية وهى مفعول الاستماع . . يقول : ولم أر ولدين أكثر منهما استماعا فى مجالس ابيهما لمثل هذه العبارة وهى فلان دق — كسر — رمحا فى فلان، يعنى أنه لا يجرى فى مجلس أبيهما غير ذكر الطعان والطراد فهما لا يسمعان غير ذلك (٢) رأية فعلة من الرأى ورأيا صفة لرأية والعائد محذوف أى رأياها . وعلقا بها عشقاها . يقول : أول شىء رأياه هو المعالى فقد عشقاها قبل أوان العشق وروى ابن جنى وأول داية والداية الظئر — التى ترضع المولود — فيكون المعنى أن المعالى تولت تربيتهما فهما يميلان اليها ويحبانها حب الصبى من رباه

(٣) الصارخ المستغيث وأغاثه نصرته والعانى الأسير يقول : وأول كلام فهموه هو اجابة من استصرخهم ونصرته وفك الأسير من وثاقه

(٤) تبهر أى الشمس وبهره غلبه . يقول : كنت شمسا تبهر العيون بهائك فكيف اليوم وقد ظهر معك من ولديك شمسان آخران (٥) يدعو لهما بأن يبقيا بقاء الشمس والقمر يحيا الناس بضوئهما وأن لا يكون بينهما تحاسد أو اختلاف

(٦) هذا دعاء لابيهما بالحياة يقول : لا ملكا ملكك بل ملك الاعادى ولا ورثاك انما ورثا من يقتلانه من الأعداء (٧) كاثراه فاخراه بالكثرة . وياءى خبر كان وأنيسيان مصغر انسان وهو من شواذ التصغير وانسان خمسة أحرف وهو مكبر فاذا صغرته وقلت انيسيان زاد عدد حروفه وصغر معناه والبيت دعاء أيضا يقول : عدوك

دُعَاءٌ كَالثَّنَاءِ بِلاَ رِئَاءٍ يُؤَدِّيهِ الجَنَانُ إِلَى الجَنَانِ (١)

فَقَدْ أَصْبَحْتُ منه فى فِرِنْدٍ وَأَصْبَحَ مِنْكَ فى عَضْبٍ يَمَانِ (٢)

ولَوْلاَ كَوْنُكُمْ فى النَّاسِ كَانُوا هُرَاءً كَالْكَلاَمِ بِلاَ مَعَانِى (٣)

الذى له ابنان وكأنك بهما كانا زائدين فى عدده ناقصين من حسبه وفخره بأن يكونا ساقطين خسيسين كياءى انيسيان يزيدان فى عدد الحروف وينقصان من معناه ، وقال بعض الشراح : أى اذا فاخرا — أى ابنا الممدوح — عدوا بتكثيرهما عدد رهطك فليكن ابنا ذلك العدد أى العدد الذى يقابلهما — أى يقابل ابنى الممدوح — عنده بمنزلة الياءين فى انيسيان أى آئلين الى نقصه وخسته وان زادا فى عدده ، وهذا المعنى الثانى أنسب وأقرب والسياق يدل عليه (١) دعاء أى هذا دعاء . والرثاء التظاهر بغير مافى الباطن . والجنان القلب . يقول : وهذا الذى ذكرته دعاء وهو ثناء عليك لارثاء فيه لأنه اخلاص من القلب إلى القلب يخرج من قلبى فتفهمه بقلبك وتعلم أنه اخلاص لايشوبه رثاء (٢) فرند السيف جوهره ووشيه . والعضب السيف القاطع . واليمانى نسبة إلى اليمن شبه الممدوح بسيف يمان وشبه شعره بفرند ذلك السيف ، أى أن شعره زينة للممدوح كالفرند للسيف لانه نوه بمناقبه ومحامده وقد نزل منه فى منزله هو أهل له كنزول الفرند من السيف اليمانى وهو أجود السيوف (٣) الهراء الساقط من الكلام قال ذو الرمة

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمُ الحَوَاشِى لاَ هُرَاءٌ وَلاَ نَزْرُ

يقول : بكم صار للناس معنى ولو لاكم لكان الناس كاللغو من الكلام الذى لا معنى له ، وهذا كقوله

والدَّهْرُ لفْظٌ وأَنْتَ مَعْنَاه